ملحمة شهرزادية

حكايات عبد الرحيم الوسيم

الطموح المستحيل

حكايات عبد الرحيم الوسيم

الطموح المستحيل

تأليف/ حجاج أدول

طبعة 2019م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لشركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر

،وعلامتها التجارية (شخابيط)

24 شارع غزة _ المهندسين _ الجيزة

تليفون : 01145004994 2+ _ 0233031633 2+

info@sha5abet.com

إن شركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر ،وعلامتها التجارية (شخابيط)

غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه

الغلاف: أحمد شاكر

اخراج فنى : عمرو محمد

المدير العام : د.سامح شاكر

رقم الايداع: 2018/22590

I.S.B.N.978-977-6690-18-9

حكايات عبد الرحيم الوسيم

الطموح المستحيل

رواية لـ

حجاج أدول

إهداء

إلى المفكر الناقد.. د. جابر عصفور. له التقد ير عمومًا، وعلى وجه الخصوص، أنه خلال رئاسته لمجلة فصول، خصص جزأين ممتازين لرائعة ألف ليلة وليلة .

حجاج

الليلة السابعة

مولاي الحبيبة ، ومن القلب جد قريب انتهينا في الحكي، عندما كان فرسان الزعيم عبد الرحيم الوسيم وذي اللبدة كبير البهاليل، يلبدون ليلتهموا قافلة المسافرين في أمان الله مسافرون مسالمون لا يتوقعون التربص بهم ، ولا يشعرون بما ينتظرهم من هجوم المتربصون يتلمظون .. ولما وازتهم القافلة ربط كل منهم عمامته بإحكام ، وشد حزام وسطه حيث السيف ، وتأكدوا أن خناجرهم ذات الحدين متواجدة تحت الطلب .

أشهروا السيوف بمهاميزهم وكزوا الخيول، صهلت الخيول وانحدرت كالسيول على القافلة الفرسان على صهوات خيولهم يصيحون صيحات إرعاب للقافلة قائد القافلة مع رجاله بوغتوا لدقائق الذهول ران عليهم ينظرون ليحددوا قوة المهاجمين ، هل يهاجمونهم في المنتصف أم الأجناب ؟

الشمس تعمي محاولتهم ، فلم يستطيعوا تقدير قوة الهجوم قائد القافلة بدأ يجمع فرسانه ولا يعلم ما العمل ولا هم يعلمون ، هل يتصدون للهجوم أو يستسلمون ؟

شاب يافع أسود فارع الجسد رشيقة ، من ضمن عبيد القافلة ، أسرع بين صفوف الجمال ومن خلف أحد حراس القافلة المترجلين ، خنقه بساعده الأسر وبيمينه طعنه بخنجره في قلبه انتزع منه قوسه وسهامه قفز على عنق جمل ومن عنق الجمل على الهودج ورفـــع ستارته لم يأبه بصراخ المرأتين اللتين بالهودج و بدأ رمي سهامه على راس القافلة بدأ بمـن يكرهه كراهة بالغة أول سـهم انطلق ليصيب قائد القافلة في ظهره يصرخ و يسقط من على ظهر حصـانه وقبل أن يفيق فرسانه من المفاجأة يصاب الثاني فيميل على عنق حصانه ويمسك به فيدور به الحصان و يسرع به بين الجمال حتى يسقط الفارس على الرمال

فرسان القافلة في ورطة من ناحية قائدهم و زميل لهم ملقيان يتلويان على الرمال يلفظان أنفاسيهما و الشاب الأسود على حافة هودج يطلق السهم الثالث لكن مع نفرة الخيول هنا وهناك السهم الثالث خاب الشاب الأسود خلخل دفاع القافلة وأربكها وبث فيها الخذلان من داخلها أما الخطر الأكبر .. الفرسان المهاجمون اقتربوا منهم و صيحاتهم المتوحشة زاعقة وسيوفهم البارقة مشرعة !

تخلخلت أوصال حراس القافلة فاستسلم أكثرهم وفر الباقون استولى عبد الرحيم وذو اللبدة على القافلة كلها وكانت مثقلة بالبضائع ، أصواف وجوخ مشغولات ذهبية وفضية سيوف وخناجر بخور وطيب أثواب نسائية ورجالية .. إلخ .

ما أسعد البهاليل أكثر ، أنهم خطفوا تسع حريمات ، أربع جواري وخمس حرائر الحرائر ما دمن وقعن في الأسر فقد صرن جاريات تركوا الخيول وعددا من الجمال للناجين يعودون بها لبلادهم من وجدوه تاجرا صغيرا ، تركوا له بضاعته، وهذا من شروط ذي اللبدة ، ألا يضار فقير من غاراته لم يحاولوا قتل أحد ، فالقتل فقط إن دار قتال فالمهاجمون ملثمون . بعضهم يعلم أنه ربما يكون بعض أفراد قبائلهم ضمن القافلة ثم إن القتل يستفز القبائل و يدفعها للوثوب بكامل قوتها لتقاتل البهاليل قطاع مسارات القوافل ساقوا الجمال بينهم وعليها ما نهبوه عند أسفل جبل البهاليل وزعوا الغنائم كما اتفقوا، عبد الرحيم ترك لهم ستة من النساء ليشفوا فيهن غليلهم الذكوري بعدها عاد إلى حيث قبيلته صبارة لم يرض أن يذهب إلى سقيفة المعاهدات عبد الرحيم الوسيم صار زعيما كبيرا وعلى الجميع أن يأتوا له هذه المرة فهو قد أقام خيمة شاسعة تسع عشرات من الحضور جوانبها مرفوعة بعصي طويلة أتاه الزعيمان عز البادية وعبدان أعطى كلا منهما نصيبه ونصيب قبيلته ، وجاريتان لكل زعيم ، واحدة له شخصا ، والثانية يهبها لأحد من قبيلته لتكون له اسرية من أبقاها عبد الرحيم معه ، لم تبق أكثر من شهر ثم أهداها لأحد سفهاء مجموعة الشباب

التابعة له ثم كان طلبه لكبير گراعة ، أن يسامح ترباس الذي تسبب في الحرب بين گراعة ومناعة . وتم الحكم عليه بالطرد من قبيلته فلجأ إلى جبل البهاليل، وافق عز البادية ، وابتسم عبدان فرحآ بعودة شاب من شباب قبيلته عبد الرحيم أمر بإحضار الشاب جميل الطلعة، حليق التحية والذقن مقلدا لعبد الرحيم الشاب كان متحما شجاعا في الهجوم على القوافل أتوا به سأله عن اسمه ، فقال صفوان استفسر عبد الرحيم ، صفوان من ؟

فقال اسم أبيه الذي توفي من شهور ابتسم عبد الرحيم و انشرح قلبه ، من اسم أبي صفوان عرف أنه ابن اللثغاء التي كانت عشيقته في ليالي المحاق إنه ابنها ، إنه ابنه هو أيضا فقرر له نصيبا طيبا، وقربه بعد ذلك منه ولم ينس نفسه من الغنائم أخذ نصيبا كبيرا له وحده ، ومن ضمن نصيبه كان الشاب الأسود فارع الجسد تقدم الأسود وعلى كتفه جعبة سهام ، وفي يسراه قوسة .

وفي يمناه رمح طويلة قدم لعبد الرحيم القوس والرمح والسهام ، علامة على الاستسلام الراضي عرف منه أنه أصلا حر وابن لزعيم قبائل هائل ، وتم خطفه خلال حروب القبائل الزنجية وصيروه عبدا وبعد سنوات معاناة ، تم بيعه لكبير وقائد القافلة ، وكان قائد القافلة ظالما يكره اعتداد الشاب الأسود بنفسه، فتعمد تعذيبه و إهانته كثيرا لذلك قتله وحاول قتل أكثر عدد ممكن من حراس القافلة عبد الرحيم وجده مريح الملامح رغم أنفه الأفطس و شفتيه الغليظتين و شعره المجعد و ذقنه المهوشة وشاربه غير المشذب هذا الأسود الذي صار عبدا به و سامته الخاصة مع بسطة الجسم ورجاحة العقل يفكر عبد الرحيم ما يفعل بهذا الأسود ؟

فجأة وجد طفلته النبيلة الثانية تتقدم ناحية الأسود وتجذبه من أسفل سرواله !

يتعجب عبد الرحيم ، كيف أتت تلك الطفلة هنا ؟

الطفلة تشير بيديها أن يحملها الأسود !

نظر الأسود ناحية عبد الرحيم فأشار له أن يفعل حمل الأسود الطفلة ففرحت ونظرت ناحية أبيها وابتسمت جاءت خادمة كانت الطفلة قد أفلتت منها أخذتها وابتعدت نفسش عبد الرحيم ارتاحت للأسود أكثر لإعجاب ابنته الحبيبة به قال للأسود ..

- لقد ساعدتنا في الهجوم ماذا تطلب ؟

- حررني لأعود حرا كما أنا في الأصل حر ، وسأكون طائعا لك برغبتي ستجدني وفيا مخلصآلك حتى الممات .

- ما اسمك أيها الأسود ؟

- أطلقوا على اسم بخيت ، لكن أنا اسمي شاكا .

- شاكا ! طبعا اسمك له معنى ؟

- هذه حكاية طويلة .

- تحكيها لي ؟

- إن سنحت الظروف وبرأت جروحي .

- لكنك سليم ولم تجرح !

- جروح الجسد بسيطة، إن قورنت بجروح النفوس .

- أحكيم يا أسود ؟!

- اسمي شاكا يا كبير الشأن .

- علمنا أنك ماهر في رمي السهام ، فما هذا الرمح ؟

مد الأسود يده طالبا الرمح من عبد الرحيم فأعطاه تقهقر الأسود ثم التف مشرعآ الرمح مثنيا ركبتيه ، وقام بحركات سريعة وكأنه يصارع مجموعة من الأعداء الأسود سريع الحركة قوي الضربات التف لجانب ليس به إنسي وألقي بالرمح لمسافة بعيدة وكأنه يقصد هدفآ متحركًا عاد بهدوء ليقف أمام عبد الرحيم .

ابتسم عبد الرحيم مقدرا كفاءة هذا الأسود ، وتعجب كل من شاهد هذا العرض الذي لم يروه من قبل .

- شـــاكا .

أنت مقاتل في نوع من القتال لم نعهده ، وأنا أقدر المقاتلين وأثمن القوة شاكا ، وعدتني أن تكون طائعا لي إن حررتك ؟

- ووفيا يا كبير المقام .

- اذهب فأنت حـر .. اذهب فأنت حر بهذه الجملة البسيطة السريعة ، عاد بخيت حرا وعاد له اسمه الحق شـــــاكا.

من الصباح التالي وناس القبائل والواحة يهتفون باسم عبد الرحيم الوسيم الذي سيعيد لهم أمجاد عبد الرحيم السبع ، وسوف يجعل عيشة الجميع سمنا وعسلا .

بعض الشباب ، بل بعض الرجال الأكبر سنا من عبد الرحيم ، بدءوا يخففون من كثافة ذقونهم وشواربهم ، تقليد العبد الرحيم ومن هذا اليوم المشهود ، بدأ الشباب المهمل الأخرق التافه ومن انضموا إليهم في كسب الثروات ، ليصعدوا في سلم المكانة ، فبدأ هرم الطبقات في القبائل يختل ، فمن كانوا بأسفل بدأوا الصعود لأعلى، ومن في الأعلى اهتزت قواعدهم منذرة بالهبوط هذا من ضمن مقاصد عبد الرحيم وأمه النبيلة ، مجلس الكبار يجب أن يذوب كقصر من الرمال .

وعبد الرحيم وأمه يبدآن في بناء واقع جديد ، واقع يبنيانه مع جموع السفهاء الحقراء ومن ذوي الشهوات الدونية، والمطالب السريعة الدنيوية و عليه يكون مجلس الكبار من السفهاء يكون المجلس تابعا لعبد الرحيم وأمه النبيلة حذرت عائلتها ، عائلة السباهي ابن عمها القراء فهمها سريعا رغم عدم رضاه بما يفعله عبد الرحيم ، فقد أيد أن تستمع عائلة السباهي لمشورة النبيلة.

قرروا أن يشارك بعض شبابهم في غزوات القوافل وأن يقوموا هم بشراء الغنائم من الفرسان المهاجمين ، ثم التجارة بها مع قراصنة ميناء رذية وكان هذا نعم القرار بالنسبة للعائلة المهددة بالسقوط المالي وفي نفس الوقت شعبية ذي اللبدة صارت وطيدة ، تسعد بها القبائل الثلاث وتفاخر بها لكن لم يكن الجميع راضين مرتاحين ، واحد لوحده من أقرب أصدقاء ذي اللبدة كان كارها له ، ثم مجموعة كبيرة كارهة له ولعبد الرحيم .

الواحد لوحده الكاره لذي اللبدة هو المفاجأة، إنه شريكه في الهجوم على القافلة ، عبد الرحيم الوسيم !

القلق زاد قلقلة في مصارينه أن ذا اللبدة شعبيته زادت ، وتعلقت قلوب البدو به وبفروسيته وسماته الأبية ، ثم يصل الأمر أن السخيف وعد بن المواعد ، يكتب قصيدة مدح في ذي اللبدة !

انتفضت شجرة كراهية وعد داخل عبد الرحيم فتعملقت ، وطالبت باستكمال حصادها الدموي ، من الشاعر الذي نال حب دعد حارمآ عبد الرحيم .

من نيل إعجابها وأخذ جسدها إن استمرت شعبية ذي اللبدة، وإن علا نجمة عن هذا، فسوف تفوق شعبيته شعبية عبد الرحيم الوسيم، وربما ، ربما ، ربما يكون خطرا على عبد الرحيم يوما ما .

أما المجموعة الكبيرة ، فهم كبار القوم ، من كانوا ينظرون بعيدا في قلق قلق مما يحدث داخل قبائلهم ، وما يتوقعون أن يحدث من خارجهم أسس القبائل تهتز بعنف ، المراتب تزعزعت ، القيم تصدعت ، النفاق للزعيم استفحل وصار الكثيرون يتمسحون فيه ويبلغون أخبارا عن غيرهم .

قلق من يوم سيأتي ينتقم منهم المسئول عن تلك القوافل ، وهو ملك مملكة الأنهار الجارية، وليس مستغربا ، أن يرسل لهم بعض قبائل البدو التي تعيش في الشرق البعيد

ليأتوا عليهم مهاجمين ويؤدبوهم، وإن أتوا سوف يعملون القتلى والسبي ، فكل شيء سيكون مباحا ولن يرقق قلوبهم لا صريخ ولا نواح ومن ضمن الذين لم يشاركوا في الغارات ، عثمان بن ميسرة وأيضا الرماح بن مفتاح من صبارة. التلي معلم الفروسية من قبيلة مناعة ، الحساني من قبيلة كراعة. صحيح أنهم فقدوا غنائم وفيرة، لكن اعتداد مهم بأنفسهم الكريمة أهم .

هم ليسوا من الأغنياء إلا عثمان بن ميسرة فهو يعد من أغنياء القبيلة لم يقلق عبد الرحيم كثيرا من موقف هؤلاء الممانعين ، ولم يقلق من ابتعاد خاله القراء عنه ، وحديثه أن عبد الرحيم عنيد عنيد غير رشيد ، لكن عندما وصلته أخبار أن العجوز مسعود الحقود ، نشط كثيرا في بث القلق في قبيلته صبارة ، وأنه يدفع أكابر القوم ليقوموا قومة رجل واحد ، فيضعوا عثمان بن ميسرة زعيما بدلا منه !

هنا لا يمكن أن يصمت عبد الرحيم أولا طلب من أمه أن تنصح قريبها القراء ، ألا يخالط معارضيه ليعيش في سلام ثم مستقوياً بمجموعات من أتباعه ، ومن قوة كونه زعيم القبيلة اتخذ أغرب قرار حدث في قبيلة صبارة .. نفي عثمان بن ميسرة والرماح بن مفتاح و عائلتهما من مضارب قبيلتهم ، قبيلة صبارة، قبيلة الزعيم عبد الرحيم الوسيم ، إلى مضارب قبيلة مناعة !

الكثيرون شـهدوا ، سـواء عن حق أو عن زور ، أن عثمان بن ميسرة وافق على تخطيط مسعود الحقود ، وبدأ يستعد لتولي الزعامة ويقود ، بتأييد من الفارس القوي الرماح بن مفتاح وفي قبيلة مناعة ، كانت عيون عبد الرحيم تراقبهما عن كثب أما مسعود العجوز الحقود فنظرا لستة تم تقريعة وترويعة فقط، على أن يتم فصله من مجالس الكبار. بعدها لم يبق مسعود طويلا، مات وارتاح وأراح ، شكور في غاية السعادة، لقد أنجبت له زوجته فتاة ، أطلق عليها عواضة عواضة تعويا عن موت ابنهما الأول بضربة ساق الجمل.

الفتاة جميلة مثل أمها ومثل فتيات عائلة السباهي ، لذلك أصر شكور أن تتعلم ابنته عواضة ، ولا تكون أقل من النبيلة أم صديقة الزعيم عبد الرحيم الوسيم النبيلة لا تصبر يجب سرعة زواج ابنها عبد الرحيم من فتاة من قبيلتهما صبارة .

اختارت الزوجة الثالثة كما اختارت الأولى والثانية ، المختارة كانت علياء وعلياء من عائلة فقيرة ، ليكسب ابنها عبد الرحيم ودهم وود العائلات البسيطة علياء فتاة لها الجمال وليس الدلال بالكاد تصل إلى ربيعها الرابع عشر طيبة هادئة دائما.

صامتة لا يكاد أحد يسمع صوتها الزواج حفل مشهود مثله مثل سابقيه ، لكن علياء لم تكن مثل سابقتيها لم تنجب ، فهي عقيم عبد الرحيم الوسيم أقنع أتباعه ، يجب إعداد فتية وشباب القبائل الثلاثة ، صبارة وگراعة ومناعة. إعدادا يناسب المستقبل المتوقع . التركيز علي جانبين ، تعليم القراءة والكتابة جانب ، وجانب الفروسية ، فيكون الشباب أقوياء عقلا وجسدا فتكون القبائل الثلاثة وهي تحت قيادته ، قوة ضد قبائل شرق الخمساوي الأكـــثر عددا منا ، بل تكون قوة تعاند وتنهك جيش مملكة الأنهار الجارية . بعض رجال وشباب القبائل الثلاثة لم يقتنعوا لكن الكثيرين وافقوا وبدأوا في التنفيذ عبد الرحيم الوسيم أمر بتصنيع الحبر وألواح الإردواز ، وأوصى أخواله بتوصية القراصنة بإحضار كميات من الورق ، ثم بينه وبين بعض خاصته من شباب قبيلته ، قال علينا أن نكون دائما أقوى من القبيلتين الأخريين .

الأمر الأهم ، أن مكان تدريب الشباب صار في محيط قبيلة صبارة، قبيلة الزعيم عبد الرحيم بالطبع رفض التلي أن يكون معلم المبارزة ، وهذا ما أراده عبد الرحيم تم وضع ثلاثة من المعلمين بدلا من التلي، واتضح الفرق بين التلي وبين غيره ، لم يعد الشباب الجدد في كفاءة من سبقوهم اختفت دعد بنت سعد !

كانت ترعى أغنام أسرتها كلباها عادا بالأغنام ولم تعد دعد !

بحثوا عنها في كل مكان من أمكنة الرعي لا أثر لذئب ، لا دلائل أن معركة شبت بين دعد ووحش ما ، فما الذي حدث ؟

أتوا بقصاص الأثر ، قال إن آثار أقدامها تنقطع عند آثار حوافر حصان ، حصان أتي حاملا فارسه ، ثم عاد حاملا فارسة ودعد معه، فحوافر الحصان العائد أغور في الرمال شليب أخوها في حالة ثورة ذهب لزعيم القبيلة عبد الرحيم الوسيم .

قال إن اختفاء فتاة من فتيات القبيلة عار على القبيلة بل هو عار خاصة على زعيمها عبد الرحيم الوسيم عبد الرحيم أظهر أنه فوجئ ، و لما بان على وجه شليب أنه لا يصدق عبد الرحيم ، أقسم عبد الرحيم أنه فوجئ !

عبد الرحيم فوجئ بالأسلوب ، لكنه كان يعلم إجمالا بما سيكون الوسيم كان قد يئس مؤقتا أن تسمح له دعد بلمسها ، فقال لنفسه .. طالما أنها عذراء ، فصعب دخول جسمها إذن أترك وعد بن المواعد يبدأ ، ثم يأتي يوم أنالها فيه منتزعا حقي .

شگور ذهب إلى البهاليل عاد وقال إن جبل البهاليل صار عليه عدد من النساء ذو اللبدة من بعد ممانعة وافق على تواجد النساء كل الفرسان هناك ينتوون أن يأتوا بمن يتزوجوهن وأن دعد هناك وسيتم تزويجها من وعد بن المواعد ..

ثار شليب وأقسم أن هذا لن يحدث ، فقال له شكور .. معي رسالة شفاهية لك من وعد بن المواعد ، إن لم تأت بنفسك التزويج أختك لي ، فسوف أنكحها دون زواج ثم إنني فتحت لك باب حفظ ماء الوجه ، بعد أسبوع سوف تتم ثلاث زيجات في ليلة واحدة وسيكون الزعيم عبد الرحيم الوسيم ، وكيلا للأزواج الثلاث .

ولفرحة القبيلة بالزيجات الثلاثة ، وهذا يحدث لأول مرة ، ستعلن أنك قررت العفو عن وعد بن المواعد وتسامحه في التشبيب بأختك الليلة التالية كان عبد الرحيم وبعض أفراد كبار القبيلة ومعهم شليب وعمه المتحجر المتجبر ، فوق جبل البهاليل ، هذه أول مرة

يحدث فيها هذا الأمر ، إنه اعتراف من قبيلة صبارة بتواجد من كانوا يغضون الطرف عنهم استهجانا و استكبارا و استحقارا تم زواج وعد من دعد بشهادة شليب و عمه عبد الرحيم ينهئ دعد أمسك بكف يدها مدة طالت ونظرته لها أوضحت وقالت ، إنه ما يزال شبقا بها لم يلحظ أحد ما بداخل .

عبد الرحيم الوسيم سوى دعد ، فأحست بالضيق أكثر و أكثر من عبد الرحيم ، ولولا خشيتها من ضرر يلحق بحبيبها الشاعر الطيب وعد وبالتالي بزواجهما ، تلعنت عبد الرحيم وفضحته عم دعد انفرد بها وحاول لومها ، أنسحب سريعا في انكسار.

هددته دعد بالمسخرة والمهزأة وعاملته باحتقار اختلي شليب بأخته دعد ليوبخها ويلعنها فسبقته هـــي ولعنته ، ذكرته بأنه أقسم بقتل ابن المواعد و بينت له بصريح العبارة أنها تـــكرهه ولم تعد تعتبره أخا لها وأنه لو حاول التدخل في حياتها مرة ثانية فسوف تهينه وسيقوم زوجها بقتله شليب وهو يبتعد كان وعد ينتظره ... قال له .

- أهنت زوجتي كثيرا من قبل زوجتها رغم أنفها مرتين ثم أغلظت في ضربها وكسرت سنه ومازلت تهددها ! اسمع إن حاولت فعل أي شيء يضر بزوجتي فإني والله لقاتلك الغارات على القوافل استمرت ، و المكاسب تنهمر ، لم يخسروا سوى مـــوت فارس وإصابة فارسين وأهل كل منهم نال تعويضآ سخيا ، فصارت المرأة التي تكره زوجها تتمنى مقتله حتى ترتاح منه ، وتنال تعويضآ وافرا فوق ابتعادها عنه وبالتعويض السخي سيأتي رجال طالبين الزواج منها .

خيمة وعد ودعد متطرفة عن بقية خيام القبيلة ، هكذا أرادت دعد ، الانفراد تماما بحبيبها حبلت دعد بنت سعد ، فرحتها كبيرة مثلها مثل أي امرأة ، وفرحة زوجها الحبيب وعد بن المواعد لا تقل عن فرحتها ، لكن كل شيء نصيب ، والمكتوب واقع على المخاليق لا محالة

ثلاثة أيام ومات الطفل الذي أنجبته انحسار أمل وتجسد ألم بكى زوجها وعد وبكت دعد بكاء مرا آلام دعد أقسى وأعمق ، فهي الأم .

أتي الشتاء الخامس البرق الخاطف يزغلل العيون خاصة في الليل شاهد الكل دوائر الإعصار الغبارية الرملية الصاعدة من سطح الرمال حتى عنان السماء الأولى ، إنه إعصار الخمساوي سمع الكل ما بداخل الرعد المدوي ، سمعوا عويل وصرخات المجرمين من الشياطين و الجن و العفاريت المحبوسين في دوائره ، كلهم مكبلون بالحديد و النار . سيرحل بهم إعصار الخمساوي لأخر الرحلة الذلية حيث يتقي بهم مسجونين في كهوف جبال تورا بورا .

لم يخل إعصار الخمساوي من الأمطار الرعدة ، فخرجت المواشي فرحة التكبس بطونها من الكلأ الزاهي ، ووجدت بقايا الأمطار و قد كونت مساحات مائية نادرة أسبوعان تكنيز لحم وشحم خاصة للجمال ثم عادت الغارات لكن ليس على القوافل بل توجهت إلى الشمال الشرقي و أغارت في تهور خطير على أطراف مملكة الأنهار الجارية و نهبت كل غال و نـفيس و قتلت فرسانا متاريس .

وأخذت معها عددا من أجمل النساء والفتيات الكاعبات الغارة الأخيرة كانت متخمة بالأسلاب والغنائم عادت الغارة مبتهجة فرحانة تستقبلهم نساء القبائل بالزغاريد ، تحية للفرسان الأجاويد ... تم توزيع الغنائم ونال عبد الرحيم الوسيم أكبر نصيب ومن ضمن نصيبه المرأة الشابة فائقة الجمال خضراء العينين أطلقوا عليها خضراء الفارسية أصلها من بلاد فارس مأساتها مؤلمة هى من علية قوم من مملكة عظيمة مسموع هيبتها في أنحاء الدنيا ، تؤسر وتستعبد !

عيبها من ناحية خاطفيها ، أنها بالغة الاعتداد والزهو بنفسها أتوا بها الخيمة الزعيم عبد الرحيم الوسيم ما تزال حبيبات الرمال تكسوها ، والإرهاق يعلوها قالت له محذرة ..

- لـــــــقد اتخذتني جارية سرية لك تتسرى بجسدها فاعلم أنني ابنة كبير من كبار دولة الأكاسرة .

أنا من نسل كسرى وشروان لقد تم خطفي لسوء حظي أكون جارية مهانة عند البدو الصعاليك والبدو في غرفنا قوم جاهلون متوحشون ، لا يليقون سوى بأن يكونوا خدا أهل فارس فكيف أكون جارية لديهم ؟!

البدو باعوني لغني مـن أغنياء مملكة الأنهار الجارية ، ثم تم خطفي منكم أيها البدو مرة أخرى ، فلا تظن أنني سأكون لك جارية مطيعة ، بل إن اقتربت مني سوف أهينك حتى لو كانت النتيجة قتلي تعجب عبد الرحيم من جرأتها ، ثم تعجب من دموعها سألها فقالت ..

- لقد نكحني عدد من البدو القساة وأنجبت رغم أنفي مرتين أخذوا البنتين اللتين أنجبتهما وأبعدوهما عني بالطبع سيصيران مثلي جاريتين يتسرون وينكحونهما متى شاءوا

أذلوني كثيرا ولن أقبل الذل مرة أخرى أنا مصرة لن أمكن أحدا من نكاحي هكذا ببساطـة وإن أردت أن تجرب ذنبك على جنبك .

عبد الرحيم رغم كل تهديدها فهو واقع تحت سطوة كل هذا الزخم من الجمال وجهها أكـثر من رائع ببياضها المشرب بحمرة شفقية شجية وعلى رأسها تاج شعرها الذهبي السائل و الـــذي تتركه كيفما يشاء ينساب و يتمايل عيناها خضرتهما تسر القلب و تفرح الروح جسدها به كل ما تختال به النسوان لا ينقصها شيء وكأن خالق الكون قـال... سأصنع المرأة الأجمل والأشد فتنة في الدنيا كلها فكانت خضراء الفارسية بكل ما لها أمر أن يحمموها ويزينوها ويأتوا بها .

هو أيضا أستعد لها أتوا بها وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن توضيب شعرها، وجمل نحرها وصدرها بالحلي و الحلل سبحان الله أحسن الخالقين ، بانت وكأنها البدر إذا أقمر في ليلة أربعة عشر .

بــدر أنار كبد السماء بالصفاء ، وسطع على سهول الأرض وكساها بالبهاء والرضاء العيب الـــوحيد كان في نظراتها المتحدية ، التي تصدر من بحر العينين الخضر اوين الساحرتين . أقبل عليها يحتضنها وهنا بدأت المعركة لم تكن الفارسية تهدد تهديدات باطلة بدأت وصفعته صفعات هائلة ذهل عبدالرحيم فصفعها صفعات أشد لم تر الخضراء و لم ترتد واصلت الهجوم عليه ، وحاولت أن تشوه وجهه وأظافرها ، فألقى برأسه للخلف فأنشبت أظافرهما في عنقه صرخ ألما وهو يضربها بقبضتيه ضربا مؤلما وكأنه يتصارع مع رجل . الفارسية أظافرها تؤذيه في صدره في النهاية كانت ملقاة أرضا مضروبة و الدماء تنزف من شفتيها و أنفها و أضلعها مرضوضة تعري هو رغم آلام خربشاتها بجسده و دمائه التي تسيل فعضوه في انتصاب عصبي يكاد يرتعش من فورة الرغبة و بلاغة التوتر هبط عليها مغيظا والدماء تسيل خطوطا من عنقه وصدره .

مزق ملابسها وعراها وأظهر قواها لم تستكن خضراء الفارسية بل وقد تمكن منها ، كانت بأظافرها تقطع في ظهره وتلعنه ، حتى وهي تصل لنشوتها مرغمة قبل أن يصبح الصباح أبلغوها بالواقعة أتت النبيلة سريعا رأت آثار الدماء في عنق وصدر وساعدي ابنها ولاحظت أن تنفسه مايزال به تسارع الغيظ ، خضراء الفارسية ، ماتزال على الأرض ملقاة عارية ، في حالة مزرية النبيلة بقدميها أخذت تضرب خضراء الفارسية بغل وحرقة ضـــربا الفارسية لم يعد بها بقية قوة لتبادلها ضربا بضرب .

تتأوه منأملة وترد لها السباب بالسباب ، والدعاء عليها بسريع الخراب أمرت النبيلة بطرد هذه اللبؤة من خيمة عبد الرحيم بعدها أصرت النبيلة على ابنها أن يأمر بقتلها ، أو أقله بيعها بعيدا عن القبائل ، فربما قتلته تلك النمرة الشرسة يوما ما .

النبيلة موجوعة أوجاعا عديدة من فعلة تلك الفارسية ، وبها وجع مايزال مستمرا معها حـــرمانها الجنسى ، فكيف لمن تجد تلك المتعة الأساسية ، والتي لا تستغني عنها النساء إلا مضطرات ، كيف تفعل فيمن يفعل فيها ، كل هذه الخربشات والعضات ؟!

النبيلة جسدها يكويها كيا من الحرمان رغم تهدل كل مواضع الأنوثة فيها ، ما تزال جمرة الرغبة في الـــــحشى بها بقية من سخونة ، و النبيلة كل عدد من الليالي ، تسحب قارورة العطر التي ضمخت ليلتها اليتيمة مع تامر ، تنظر للقارورة ذات السائل الوردي تتحسس زجاجها وتحاول شم العطر دون أن تفتح الفوهة تتمنى أن تأتي ليلة تفتح فيها تلك القارورة الساحرة فيفوح الطيب و يكون في حضنها تامرها الذي ماتزال تعشقه .

عـــبد الرحيم جالس القرفصاء ، يستمع إلى أمـــــه و في يسراه مرآة صغيرة يتأمل فيها السجحات التي سببتها الخضراء في عنقه ، متجهم من العمق الذي و صلت بـــه أظافر الخضراء في رقبته ثم بأصابعه يقلب في شعر فوديه زاد تجهمة فجأة دخل عليهما صبي كاد أن يكون من الكبار ابنه عبد الجبار وقبل أن يتكلم طرده أبوه عبد الرحيم شر طردة عبد الرحيم لا يريد لأحد أن يراه وهو في هذه الحالة، ولو كان أبنه البكري عبد الجبار أمـــــه تنتظر منه ردا على اقتراحها بأن يأمر بقتل أو إبعاد تلك العبدة الشرسة فوجئت بـــه يقول .

- أمي تقدم بي العمر ولم أحقق من حليمي البعيد شيئا حلمي أن أخطو ألف خطوة وأنشئ مملكة الصحراء ، وحتى الآن لم أحقق سوى خطوة واحدة !

هل سأفشل يا النبيلة ؟!

- ابني عبد الرحيم أنت الزعيم الكبير والرجل الفحل الوسيم لا تيأس .

- اكتشفت شعرة بيضاء تختبئ في طيات السواد ، ورفضتني امرأة ، ابني البكري عبد الجبار صار في مطلع الشباب يا أمي سيتزوج خلال عام بناتي كبرن خاصة النبيلة التي تشبهك كثيرا فيما عدا زرقة عينيها تنمو سريعا تلك الفتاة ، جسدها يتفجر ثمرة مغرية أريد تزويجها لـــكنها ترفض قريبا جدا سأكون جدا يا أمي الخضراء الفارسية لعنها الله . يبدو أنه ليس لي حظ مع ذوات العيون الملونة أمي .. هل وصلت للمغيب ولم أحقق صباحي بعد ؟!

- بني لقد حققت الكثير ، فلم تنظر بغشاوة قاتمة لحياتك الزاخرة الباهرة ؟

- علي أن أسرع في خطواتي مملكتي ما تزال أحلام ظهيرة يجب أن تتسارع خطواتي لأحول أحلامي لواقع عظيم فتكون أفعالي أساطير يتحاكى بها بـدو الشرق والغرب و تصل لأقوام الأنهار وما بعد البحار لينتقم من التي أهانته برفضها له وشوهت رقبته وصدره ، لينتقم عبد الرحيم الوسيم المغرور بجماله وبهائه ، فآلمته تلك الخضراء باحتمال بقاء آثار التشويه ، أكثر مما آلمه ألم خربشات أظافرها و عمق أسنانها في لحمة و قت المعركة قرر أن يهينها إهانة أشد من القتل .

ابتسم فرحا بالفكرة التي هبت على عقله. قال مناجيا نفسه ..

- سأهبها لمن كان عبدا وحررته تفضلا مني تلك الحقيرة التي رفضتني و أنا سيد القوم علوا وغنى وأنا ذا الهيبة والمكانة أنا الوسيم جميل الوجه ترفضني تلك الحمقاء الغوغاء! سأنتقم منها أسوأ انتقام سألقيها جارية لرجل لا مكانة له ، رجل تحت أسفل درجات القبيلة سألقيها تحت شاك الأسود الذي كان عبدا في الظهيرة ، عبد الرحيم مضطجع على وسادة ، نادى سلمى لتجلس تحت أقدامه يتناول شفطات بسيطة من قنينة خمر، و يتوعد الخضراء ويؤكد أنة سوف يدمرها سلمى بدورها مغتاظة مفجوعة فكيف أن مجرد امـــرأة

، حتى لو كانت شقراء ذات عيون خضراء كيف لها وهي جارية أن تهين الزعيم عبد الرحيم الوسيم ؟!

عبد الرحيم الوسيم مثلها الأعلى للرجال كافة ، أحسست أنها مقهورة تتجرع معه الخمر وتلعن تلك المغرورة لم يتناول عبد الرحيم الكثير من الخمر لن يزيد من تجرع الحمر.

فالذي بمعدته من حمض يكفيه طلب من سلمى أن تتودد لدعد بنت سعد في كل فرصة تجدها ، فهو مصمم على مضاجعتها ، ترمست شلمى فورا وتناولت جرعة كبيرة من القنينة، وهزت رأسها موافقة ووعدته خيرا .

شاكا ليس بدويا ، لا يميل لعيشة الخيام أسبوعان وزار الواحة وتعرف بأهلها ، فأعجبوا به و أعجب بهم أعطوه ما أراد في مضارب قبيلة صبارة بنى قاعدته من الطين و أعلاه و سقفه من الأغصان و جريد النخيل و الخوص الباب مـن الأغصان المترابطة و يمكن غلقه من الداخل شاكا من ضمن حرفه العديدة ، قدرته الفذة على تصنع الأقواس والسهام صار الكل يريد ابتياع أقواس وسهام من صنعته المتينة ثم بعد ذلك أخذ شاكا يفاجئ البدو بمقدرات شغلية عديدة ، منها صناعة نول لنسج الأكلمة ، ثم نول لنسج الصوف ابنة عبد الرحيم التي طلبت من شاكا حملها ، ومن أجل خاطرها أعتقه عبد الرحيم الطفلة كـانت تصر على زيارة شاكا .

يرسلونها مع خادمة لهم ، رغم ممانعة جدتها النبيلة الكبيرة من هذا الوقت والنبيلة الثانية تعاند جدتها معتمدة على تدليل أبيها لها تذهب لشـاكا وتبقى قليلا تلعب معه ثم تعود أحبها شاكا لأنها تحبه ، ولأنها السبب المباشر في عتقه من العبودية شاكا فوجئ بخدم عبد الرحيم يأتون لـه ومعهم خضراء الفارسية الجميلة لكنها في ملبس حقير وآثار البهدلة و الضرب واضحة ، لكن جمالها واضح ! ماذا ؟

هي هبة لي ؟ جارية تحت أمري تخدمني ؟ و أتسرى بها نكاحا ؟

لم يستطع شاكا الرفض احتراما لأمر سيده وعاتقه عبد الرحيم دخلت ذات الأصل الفارسي خصة البسيط وهي ممتعضة دخل خلفها فنظرت إليه و نظرات احتقار وتعال لم يغضب شاكا شاهد عينها المتورمة ووجنتيها المرضوضتين وشفتيها المشقوقتين الدمويتين .

أحضر لها بعض اللبن والخبز رفضت ونظرت بعيدا وجلست ترك لها حشيته اللينة قال لها سوف أنام في الجانب الآخر لا تقلقي أنا كنت عبدا وتذوقت الإذلال كثيرا، ولا يمكن أن أقبل أن أتسبب في إذلال إنسي أبدا. رغم أنها في انبهار لطيبته ، لم تجبه فقط ترسل له نفس نظرات الاحتقار .أيام لم يقربها ، يخدمها بدلا من أن تخدمة هي أسبوع وبدأت تتمعن فيه بحياد وجدته رغم سواد لونه و ملامحه الزنجية ، به وسامه ويحمل أخلاق كريمة صارت تسلم عليه و ترد عليه سلامه جروحها تندمل إنها حقا فاخرة الجمال شاكا يمسك نفسه بإصرار فجسده يجن شوق إلى جسدها ، وجسدها لا يشعر بأي إحساس تجاه جسد شاكا الأسود كثيرا ما تبكي ، تتمتم بكلمات فارسية عن بنتيها اللتين أنتزعتا منها عن الإهانات اللئيمة التي تشربها و هي بنت العائلة الكريمة .

مـر شهر صباح يوم خضراء الفارسية التي كانت قد بدأت ترتاح وتهدأ استيقظت باكية وجهها في غاية التعاسة تألم شاكا لحالها. سألها ..

- مـــــــابك ؟

- أنـــا حامل من القذر المتوحش عبد الرحيم .

- متأكدة ؟

- نعم .

أسرع شاكا لعبد الرحيم قال له الخبر تعجب عبد الرحيم ، كيف لليلة ليلاء كلها ضرب وشتائم وسخام ، تتسبب في حمل خضراء الشرسة ؟ سأل شاكا..

- ألا يمكن أن يكون حملها منك ؟

- مستحيل .

-لم ؟

- لأنني لم أقربها مطلقا..

- ماذا ؟ أكيد أنت عنين أو باطنك مريض !

- لا لكن لا أستطيع نكاح امرأة لا تريدني .

ضحك عبد الرحيم لكن ضحكته فيها غضب وإنكار ، فهو لا يفهم في سمو الخلق قـال ..

- ليس لي دخل بما في بطنها ولن أعترف بابن أو ابنة تكون أمها جارية .

جارية حقيرة رفضتني وقاتلتني ، وآثار أظافرها وأسنانها شوهت رقبتي وصدري أنا الزعيم الأهم والفارس الخطير عـبد الرحيم الوسيم .

قـال له شاكا..

- وماذا علي أن أفعل ؟

- أفعل ما بدا لك حياتك مع خضراء لا تهمني في شيء، ولك أن تنكحها إن شئت .

- وإن هي رضيت بزواجي ؟

ضحك عبد الرحيم وقال ..

- وهل ابنة مملكة فارس العظيمة، ترضى بالزواج بمن كان عبدًا ؟

ترضى أن يمتطيها كائن أسود ؟

- أشعر أنها ارتاحت لي .

- إن تدنت وقبلت بك ، فهي لك زوجة يا شاكا .

- هل تعدني يا زعيم القبائل ، ألا تنقلب علي بسببها يوما ؟

- وهل زعيم القبائل ينقلب على مثلك ؟! من أنت حتى أقارعك أيها السفيه ؟

- لا تغضب مني ، فأنا لن أنسى جميلك علي .

- يا لبلاهة النساء ! أترضى بك زوجا من رفضت أن أنكحها وأنا عبد الرحيم الوسيم ؟!

أذهب يا عبدي القديم لن أضرك ولن أضرها فأنتما لا شيء ، وإن ظننتما أنكما على غير ذلك ، فقط قل لها أن تبتعد عن ناظري .

- شكرا يا صاحب الأفضال علي .

النبيلة غضبت من هفوة ابنها مذهولة أن عبد الرحيم فاقد القلب ممنوع الرحمة إلا على أمه وأبنائه يعفو عن التي ضربته وخربشته بأظافرها وعضته بأسنانها ويوافق أن تلد منه ! إن من تنجبه هذه الجارية سيكون عارا على أبيه عبد الرحيم الوسيم زعيم القبائل الثلاثة و الطاغي على واحة النخيل حتى وإن لم يعترف به فالكل يعرف أن من ستنجبه هو ابنه ومصيبة إن جاءت ابنة ستكون ابنته مهما أنكرها كان عليه أن يقتلها ويقتل ما في بطنها خاصة أنها أول من تجرأ وأهانه من النساء تهينه وهي مجرد امرأة و امرأة جارية .. عبدة وإن كانت شقراء خضراء العينين !

أما ما كان من الخضراء فقد انتبهت أن معها رجلا غير كل الرجال الذين مروا بها أو عليها رجل دمث الخلق رغم زواجها منه ، لم يحاول حتى أن يلمس ثيابها شغلها ، هذا رغم سطوة جمالها ، الذي لا يترك نفسا ذكورية شبقية على حالها !.

مالت إليه وصباح يوم أعدت له هي فطوره فسعد بهذا سعادة لا توصف قال لها اجلسي معي نفطر سويا ، فابتسمت له وجلست بجانبه وبعد الإفطار شرب القهوة وبعد القهوة لم يستطع العمل بقي جالا ساهما ، تعجبت وسألته لم أنت باق في جلوسك ؟

لم يجب تقدمت منه مرتاحة له وأمسكته من باطه وأوقفته فوجدت أنه اليس وحده واقفا إيره كان منتصبا منتفضا مرتعشا شاكا رأسه متدليةكسوفا مما يفعله إيره رغما عنه أخذته الخضراء من وسطه إلى منامتها و شجعته أن يفعل بها فعل الذكور في الإناث .

فلم يصبر برهة و سكب ماء الحياة و هو يتلوى كسمكة خرجت توا من المياه بعدها بكي بكاء شجاء و هي تربت على رأسه وكتفيه في وئام ، وتناجية بأحلى الكلام لتلقي في روعة السكينة و السلام يقول وهو يشنج إنها المرة الأولى التي يفعل فيها فعل المضاجعة لها سكن وابتسم راضيا لم تتركه هي شجعته فقام للفعل مرة ثانية و كانت الثانية كافية له ولها استمتعا سويا كما لم يستمتعا من قبل فهو يعشقها وهي تحبه حبا وافيا قالت ولم تخجل منه ، إن الكثير من الرجال ضاجعوها ، فكانوا بالنسبة لها لحما وشحتها وعظما وعضلات وأنفاسا كريهة يحتضنها كل منهم، ويفعل فيها فعل الحيوانات وهي لا تملك لا رأيا ولا إرادة لكن معه لها رأي ورأيها يريده رغم أنه أسود لها إرادة وإرادتها أن تفعل معه ويفعل معها متأكدة أن شاكا يريدها لنفسها كما يريدها لجسدها مع شاكا لأول مرة تحس أن من يجامعها إنسان ذو مشاعر و أنها هي إنسانة تحس بمن فوقها إحساس شاعر حيرتها الوحيدة أن هذا الأسود الطيب الذي أحبته غير مختون !

فرحتها به نثرت ذرات قلقها لكنه بعد النكاح الثاني هو الذي أغرقه القلق من استعبدوه من قبل كانوا يعرفون أنه لا مسلم ولا نصراني اعتبروه فيمن يقولون عنهم عبدة الأوثان.. أما بدو القبائل الثلاثة وعبد الرحيم ، فلم يعرفوا ، بل لم يفكروا ، يظنون أن كل من هو على سطح الرمال مسلم و إلا لما زوجوه من مسلمة الخضراء ربتت على كتفه تطمئنه إن السر سيبقى مكتوما بينهما ولن يعرفه أحد .

القبائل الثلاثة صارت في نعيم مقيم الأسلاب التي أتتهم من غزو القوافل و أجناب مملكة الأنهار الجارية أكثر مما كانوا يتخيلون وقعت تحت أياديهم بعض الأشياء التي لا يعرفون لها أسما، ولا يعرفون كيف تستخدم ولم ؟!لقد عاد عصر الخيلاء و الفخفخة عمر عبد الرحيم السبع طفرة من الغني الشراء من قراصنة ميناء رؤية زاد زيادة كـــــــبيرة عائلة السباهي عادت لغناها القديم و أكثر يأتون للقبائل الثلاثة بكل ما لم يتخيلوه .

خيام البدو الباهتة المرقعة صارت أوسع وبأقمشة جديدة بألوان مبهرجة داخليا وخارجها ليلا تضاء بالفوانيس والشموع فتصير نهارا جهارا وصار فيها الكثير من الأواني الخزفية والفضية والمشغولات الذهبية ، وبعض بعض الكؤوس المرمرية !

الأوعية القديمة المعوجة ألقى بها و ابتاعوا الجديد ملابسهم صارت ألين و أقشب الخمور متنوعات من أماكن متفرقات لم يعد أحد في القبائل يسير حافي القدمين لم يعد أحد محروما من أكل اللحم ، حتى الكلاب التي كانت تمصمص العظم فلا تجد نسيلة ألقوا لها باللحم الخالص الفتيات الكواعب ارتدين حلقانا وعقودا ذهبية من بعد الحلقان والعقود الخزفية و كل الإناث صرن مخضبات اليدين والقدمين و الكل مكحل العينين حتى الرجال النقاب يضمحل و السفور أفصح عن الوجوه الراضية باللين و الدعة .

ورغم أن قبائلهن هي التي أسرت النساء والفتيات فالأسيرات الجاريات صرن المثال الأعلى للأنوثة بالنسبة لنساء القبائل !

فخبراتهن عالية في الملبس و التزين والدلال فتيات ونساء القبائل صرن يقلدنهن في تفصيلات ملابسهن وقص شعرهن ، بل التقليد سرح ومرح لأخص الأمور ، ووصل لكيفية الغنج والسيحان مع الذكور كثيرا ما يلوم الرجال نساءهم وفتياتهم لوقفهن عن تقليد الجاريات في المظهر لكن في المخبر أي في الخلوات الزوجية الحميمية ، أسعدهم تعمق نسائهم في براح الغنج وزوايا النكاح كل هذه الفخفخة لم تكن للكل .

تعمد عبد الرحيم الوسيم التضييق على المناوئين له ، خاصة معلم الفرسان التلي و الفارسان الرماح بن مفتاح والحساني وبالطبع عثمان بن ميسرة ، هذا الذي يفكر بعض البدو في توليته زعيما بدلا من عبد الرحيم وإن كانت عائلة السباهي قد عادت للتألق في التجارة مع القراصنة فإنها لـم تستطع أن تأتي بالسيوف الهندية التي طلبها الـــزعيم عبد الرحيم الوسيم لم يرض بهذا القراصنة لكنهم وافقوا بعدما تدخل تـامر بن الفارع تدخل

بشرط وافق عليه عبد الرحيم مضطرا الشرط أن يكون هو تـامر بن الرافع الوسيط في توريد خمسمائة سيف هندي مصقول بتار و بذلك بين وأكد أنه هو التاجر الأكثر نفوذا و سلطة و أنه هو الذي يستطيع التأثير على القراصنة زوجوا الطفلة عواضة لشاب من عائلة السباعي عارضت أمها فالفتاة ماتزال صغيرة لكن شكور أصر فقده لابنه وعدم إنجابه لابن يعوضه يريد من ابنته أن تأتيه بالذكر الذي حرم منه شكور طلب من عبد الرحيم الوسيم أن يكون وكيل ابنته العروس لم يأبه لاعتراض عواضة عواضة تريد أباها وكيلا لها ليس عبد الرحيم ، فهي لا تستريح لعبد الرحيم .

تتوافق مع أمها في شعورها بأن عبد الرحيم يأخذ معظم وقت وتفكير شكور وهما أيضا لا يعجبهما الولاء العميق من شكور لعبد الرحيم ، ولا يعجبهما محاولة شكور تقليد عبد الرحيم حتى في مظهره وملبسه يعتبران أن عبد الرحيم يستغل طيبة شكور عبد الرحيم يعلم أن زوجة شكور وابنته لا تصفيان له .

سكان الواحة بدأوا يفقدون ثقتهم في تامر بن الفارع و عبد الحكيم و الشاب فودة صاروا ينظرون حاسدين خيرات قبائل البدو الثلاثة التي ربت بالغزو الحرام وصارت أضعاف خيراتهم فودة ابتكر طـرقا جديدة لزراعة الكروم و تكثيف محاصيل البلح و الخضروات أيضا تامر توسع في البيع لميناء رذية وفتح أبواب الرزق لكثير من العائلات . هما ومعهما الحكيم عبد الحكيم، فرضوا رأيهم على أهل الواحة، وعلى عمدتهم صالح النخيلي ، بألا يشاركوا في الهجوم على القوافل وأن التجارة مع قراصنة ميناء و ذية ثم تطوير التجارة لمجالات أبعد معتمدين على زراعاتهم الجديدة ذات الإيراد الكبير ستكون أفيد للوحة على المدى البعيد لكن مقاومة تحتية تتصاعد بقوة ضد هؤلاء الثلاثة .

حجة المعارضين أن الواحة كانت الأغنية بالنسبة للقبائل البدوية الثلاثة ، الآن صار البد و أغنى منهم فلماذا لا يشاركون بشبابهم مع فرسان عبد الرحيم الوسيم وينهلون من

الغنائم مثلهم مثل غيرهم ؟

لقد ملوا من حكايات عبد الحكيم التي تحذر بأن بدايات عبد الرحيم الوسيم المظفرة ستنتهي خاسرة جالبة للكوارث مثلما انتهت حكايات جده عــبد الرحيم السبع يؤكد لهم أن الرواة التابعين للزعماء حكوا الانتصارات التي حققوها ، وسكتوا على الهزائم التي أذلتهم وأذلت القبائل والواحة قـال لهم ..

- إن البدايات الخاطئة ، حتى إن كانت ذهبية ، من المؤكد ستكون النهايات دموية وعفونات دودية قال لا تنسوا ولا تتناسوا فإن نسيان الكوارث والنكسات التاريخية خطيئة لا تنسوا أن جيوش ملك مملكة الأنهار الجارية ، ومعها فرسان البدو حلفائه من قبائل شرق الخمساوي ، انتقموا من غزوات عبد الرحيم السبع ، أتوا واقتحموا القبائل الثلاثة والواسعة بعدهم ، وأعملوا فيها القتل والذبح ولم يتركوا ذكرا ولا أنثى ولا شيخا ولا طفلا وأن ما كسبتة القبائل الثلاث والواحة، سكرا في سنوات الرغد طفحوه مرا في سنوات السحق في نفس هذه الململة حدث أمران مفاجئان ، لقد نصحهم عبد الحكيم بـألا يزوجوا فتاة من فتيات الواحة لعبد الرحيم الوسيم ، فهو يريدها رهينة عند ودليل خضوع للواحة ، كما فعل عبد الرحيم السبع من قبل .

لكن فتاة صغيرة بلغت الحلم بالكاد ، تمتاز بملامح وجه دقيق رقيق وعينين و اسعتين بنيتين رفضت الزواج من ابن خالتها الفقير مثلها ، ووافقها أبوها على أن تتقدم بنفسها للزواج من عبد الرحيم !

حجتها أن أباها فقير ويريد تجديد جـدران بيته لكن لا يملك التكلفة كيف يعيش فقيرا مكشوقا وسط واحة أغلبها تحت غطاء الستر؟

الفتاة ذهبت بنفسها للنبيلة التي صار اسمها الخفي هو المسمومة وعرضت عليها أن تزوجها من ابنها عبد الرحيم الوسيم سألتها النبيلة ؟

لماذا تعرضين نفسك ؟ قالت إنها جميلة ، وجمالها يستحق زعيما كبيرا خطيرا و حرام أن تلقي بما لديها لفقير و إنها متت من عيشة الفقر المدقع .

وتريد أن تعيش في غنى مترفع طلبت منها النبيلة أن تريها محاسنها رغم أن تلك الفتاة واسمها هيفاء تميل للقصر .

وهي بين ملابسها ربما لا تلفت نظر ذكر يبحث عن أنثى شيقة فقد وجدتها النبيلة حين تعت ذات جسد مرسوم بدقة فحجم الثديين متوافق تماما مع الطول وعرض الكتفين ومقعدتها متوازنة و ساقاها و ذراعاها لا يشكوان من نحافة شعرها الأسود فاحم ناعم .

في نفس الميقات تقريبا ، فتى صغير من فتيان الواحة، اسمه الشحات ، الشحات غليظ الجسد بدين قبيح الملامح خلقه مشين كان تلميذ خائبا عند عبد الحكيم قرر الشحات أن يتعلم من الشيخ بعرور فلح و نجح الشحات مع بعرور فما عند بعرور سوى النقل من بعض الأقدمين المتحجرين . و ممنوع عنده الفهم و غير مسموح حتى بالإدراك الشحات و جد نفسه أخيرا ورضي عنها ، فانضم لحزب ذقون الشبرين فصار شيئا من بعد لا شيء !

الشيخ بعرور وحزب ذقون الشبرين يمولهم عبد الرحيم الوسيم ليشيدوا به ويؤيدوا كل ما يقول وما يفعل بتأويلات كاذبة لآيات قرآنية كريمة وتحويرات أحاديث نبوية شريفة نقلوا للشحات ما نقلوه من الكتب الصفراء ولقنوه خيباتهم وخباياهم فصار من صدارتهم وأصبح ذراعهم ولسانهم في واحة النخيل يمدح في الزعيم عبد الرحيم الوسيم وأنه الزعيم الذي تبنه الله الولاية على الجميع، ويبين أن حزب ذقون الشبرين هم الجماعة الناجية وأن أمثال عبد الحكيم وتامر بن الفارع وفودة فأمهم هاوية .

وهذا ما يريده عبد الرحيم وما يبغيه بعرور .. اختراق واحة النخيل واللعب في نفوسهم ليكونوا أتباعا لفكر بعرور ؛ فيصيرون تابعين لعبد الرحيم الوسيم بعرور طلب من الشحات أن يجد معه عددا من صبية الواحة وعليه نال الشحات من الدراهم والدنانير ما

بني به في الواحة بيتا جديدا واسعا، وارتدي كل ما هو زاه .

وصار يقني زوجتين وهذا أمر نادر في واحة النخيل باختصار صار الشيخ الشحات في سعة من الرزق الشحات ، الذي صار لقبه الشيخ الشحات ، يكره فودة على الأخص فودة يكبره بأعوام وفودة من أهم التلاميذ الذين تعلموا في بيت الحكيم عبد الحكيم و هو القادر على تفتيت تخريجات الشحات الدينية البعرورية .

المعتمدة على الأحاديث الموضوعة والضعيفة المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، هذا بخلاف التفسيرات الشاذة الآيات القرآن المجيد التي يتبناها شيوخ ذقون الشبرين لم تهتم قبائل البدو كثيرا بالرماح التي يصنعها شاكا ، لكن الطلب غزير على الأقواس والسهام صناعتها صارت تدر عليه رزقا طيبا ، وصار مشغولا بالعمل خصه ذو الباب الغصني يريحه وما انتقلت القبائل مع تبدل المواسم ، انتقل معها وأصر على بناء خص يسكنه وجعل له بابا خشبيا ، ولا يهد خصه كلما تحركت القبيلة لمكان جديد مع تغير الفصل . يأخذ الباب فقط معه ، فحين تعود القبيلة لهذا المكان ، سيجد الخص ينتظره، فقط سيحتاج لبعض التصليحات ، ثم يضع الباب الذي يهتم به اهتماما بالغا فالباب يعطي حماية لزوجته الفارسية الخضراء الفاتنة .

تحت سخط البدو وعدم قبولهم لتواجد باب خشبي ، فخيامهم مفتوحة الأجناب غالب النهار، إلا من قماشة مسدلة وقت اللزوم ، اضطر لإلغاء الباب الخشبي وجعله مجرد قماشة واسعة مثله مثل بقية الخيام رغم هذ يسخر منه بدو القبيلة لكنه مصر .

على أن يكون بيته خصا غصنيا وليس مجرد قماشة. سخرية البدو ورفضهم للباب ليس لعدم التعود فقط بـل لأنهم يحومون حول الخضراء التي بهرتهم بجمالها ، العديد من ذكور القبيلة يشتهونها و يحلمون بنكاحها ، و يستخسرون أن تكون تحت هذا الأسود

مهما تأنق في ملبسه وهب لحيته وشاربه، فما هو في نظرهم سوى عبد لا يسوى من جمل وشاكا يعلم ذلك ،وتعلم الخضراء ، لذلك الخضراء قليلا ما تظهر لأعين الرجال .

وإن خرجت من خصها ، تكون منتقبة تغطي وجهها الجميل وتخفي شعرها الذهبي وتحت جلبابها الذي يشبه الخيمة المسدلة ، تداري منحنيات وكثبان جسدها ، وعندما يتعمد رجل أن يأتي الحجرة وشاكا غائب تحادثه وهي في الداخل و هو في الخارج وتمنعه من الدخول وإن حاول الدخول تلعنه وتهددة. ويمنعه خوف البدو من عبد الرحيم الوسيم الذي يحمي شاكا فهو يحتاج له شاكا فهو يحتاج له شاكا يصنع لهم أقواسا قوية ترمي السهام بدقة ومدى أبعد مما يعرفون ولن تمضي سنة وإلا مع كـل بدوي قوس جديد متين من أقواس شاكا وضعت خضراء الفارسية وليدا ذكرا أطلقت عليه اسـم زيدان زيدان ورث منها جمالها الكـسروي أشقر أخضر العينين ذهبي الشعر زيدان وسـط لون البدو الرملي الغالب و عيونهم السوداء و شعرهم الأسود .

هو فاكهة غريبة مغرية أمه كأي أم أسبغت عليه حبا وحنانا و شفقة ، شاكا زوجها أحب الطفل حبا جما ، و سعد به سعادة ليس بعدها سعادة و كأنه من صلبه وهو الأسود و الطفل أشقر هنا أحبت الخضراء زوجها شـاكا وقدرته أكثر وأكثر وجدت فيه طيابة وهي التي نهشتها الديابة .

أعطته غراما واحتراما ، وساعدته في صناعة الأقواس والسهام وغيرها ، كما ساعدها في تربية ابنها زيدان ما كان يقلق شـاكا أن الخضراء لا تحاول نسيان ظلم البدو لها ، خاصة ظلـــم عبد الرحيم الوسيم ، تكرهه وتدعو الله عليه تكرهه وتكره أمه كما تكرهه لا تأتي سأيرة النبيلة إلا وقالت عنها المسمومة .

وما يقلق شاكا أكثر وأكثر أن زيدان رضع لبن الكراهية من أمه ، وسمع كلمات الغل والحقد منهاو تلقى إصرار الانتقام من نظراتها ولفتاتها ، وزاده نارا أن الأطفال من عمره و من

هم أكبر وأصغر منه ، يتندرون عليه بأنه ليس له أب يعترف به ، فنادوه كما ينعته الـكبار.. زيدان بن أبيه !

فــكان زيدان جميلا فاتنا مظهرا ، وحامضا ممرورا مخبرا .

تزوج عــبد الرحيم من هيفاء في نفس الشهر الذي أنجبت فيه الخضراء ابنها زيدان فها هي فتاة من الواحة تأنيه طوعا لا كرها انضمت هيفاء إلى زوجاته الثلاثة ، فصارت الرابعة و ليس فوق الرابعة من خامسة من يستطيع إحصاء رمال الصحراء مدا ، سيعجز عن إحصاء مشاكل النساء أقساها وأعمقها وأخبثها ما يقع بين الضرات مؤامراتهن وخبائثهن ضــد بعضهن ستنتهي لكن ستنتهي يوم ينفخ الخالق المتين في الصور وتنتهي الدنيا وما يحدث من مشاكل متضاعفات بين زوجات عبد الرحيم الوسيم ، يتضاعف ويتضاعف بينهن من الصغائر التي هي في عرف الأزواج تافهة وعندهن هائلة مـــثلا....

كل واحدة في ليلتها وهي تحت عبد الرحيم ، تتعمد علو غنجها لتغيظ ضراتها فتأوهاتهن هدير ويساعدهن أن الفواصل بينهن مجرد ستارة قماشية لا تحتجز لا همسات ولا غنجات الوحيدة التي لا تتعمد إغاظة، فليس في بالها سوى إرضاء عبد الرحيم ، هي سلمى فغنجها هديل كأنها يمامة زوجتاه الأوليان أنجبتا له البنين والبنات زرقاء أنجبت عـبد الجبار والنبيلة الثانية ثم عــبد الودود ولم اسم النبيلة ؟

إنه حكم وإصرار النبيلة الأولى ، نكاية في زرقاء التي تعاندها وتنگد على زوجها قررت النبيلة أن تكون ابنة زرقاء على اسم جدتها .. النبيلة خاصة أن النبيلة الثانية واضح تماما أنها أخذت الكثير من مفاتن جدتها النبيلة المسمومة .

ولم تأخذ من أمها زرقاء سوى زرقة عينيها فقيل النبيلة الثانية تلك الرضيعة صارت من يوم مولدها في سويداء قلب أبيها عـبد الرحيم .

لم تزحزحها زينب ابنته الثانية من زوجته عفراء ولا بقية بناته من زوجته هيفاء وستستمر النبيلة الثانية تدهش أباها وتغضبه وتحيره ، فهي ناصعة الضمير جريئة متلألئة العقل أما جدتها التي أطلقت عليها اسمها، النبيئة ، فلم تهتم بنبيلة الثانية إلا اهتماما عاديا فرغم أن ملامح حفيدتها تشبهها كثيرا فإنها لم تسترح لزرقة عيني حفيدتها وكلما شبت النبيلة الثانية اتضح أنها تختلف قلبا و ضميرا عن جدتها كثيرا ، و تتصادم معها كثيرا جـدا الذي في سويداء قلب الجدة التحكمة ، وسيستمر متربعا على عرش قلبها هو حفيدها الأول عـبد الجبار زرقاء الزوجة الأولى كرهت كراهة العمى ، عفراء الزوجة الثانية ، فكانت عفراء تغيظها بأختيالها بجمالها ووفرة صدرهاولما وضعت زرقاء ابنتها النبيلة الثاني وضعت عفراء ذكرا تباهت به خاصة على زرقاء أطلقوا عليه .

اسم عبد السميع ، حتى شب ابنها عبد السميع وبلغ مطلع الشباب و تبين للجميع أنه شاذ وصار نعته .. عـبد السميع الخلفي ، لأنه عبد المؤخرات الأولاد ويفضلها على مقدمات النساء فانكسرت عفراء وبطلت التباهي سواء التباهي على زرقاء أو غيرها بعد عبد السميع أنجبت عفراء بنتين متتابعتين هما زينب و الثانية ماتت بعد يومين زينب نمت باهتة الشخصية مثل أمها عفراء التي لم يكن لها أي دور في حياة عـبد الرحيم وتزوجت ابن عمتها ابن أخت عز البادية زعيم قبيلة كراعة الثالثة والرابعة لم تأتيا لعبد الرحيم بالذكور فالثالثة علياء لم تنجب لا ذكورا ولا إناثا فكانت أكثر هن كسرة و أعمقهن حسرة و لتعوض كونها في المرتبة الأخيرة وربما الحقيرة .

صارت و كأنها جارية تحت أمر عبد الرحيم الوسيم لا تضايقه بكلمة ولا بلفته ، ولم تعد تتحمس أن يقضي معها ليلتها ، فقد كرهت النكاح غير المثمر تركت لـه حرية قضاء ليلتها مع غيرها الرابعة هيفاء ستنجب بنتين ظبية وغزالة و اعتبرت بإنجابها فتاتين في خطر و أقل قيمة ممن أنجبن الذكور لذا ذابت جرأتها وصارت في جبن منيل تنتظر فقط نظرة من

النبيلة السمومة ، أو إشارة لتهرع وتلبي أوامرها ، لتراضيها فتكون نصيرا لها إن فكر زوجها عبد الرحيم أن يطلقها ويلقيها هيفاء تشعر أنها تلقت هي الأخرى طعنة من طعنات الدنيا المؤلمات .. قالت مخاطبة ربها

- لم لم تجعل واحدة منهما ذكرا ؟!

بعدها أنجبت هيفاء الفتاة ثالثة ، فتنهار حسرة و تموت بمي النفاس .

أطلقوا على الطفلة اســـــم مـها بقيت الفتيات الثلاثة تحتاتة رعاية جدتهن النبيلة وإن كن يذهبن كثيرا لأخوالهن وخالاتهن في واحة النخيل زوجات عبد الرحيم ، يغرن ويكرهن العشيقة التي يفضلها زوجهن عليهن كلهن إنها المرأة التي تحب زوجهن الحب الأعمق حـب لا ينتظر ردا ولا مقابل له ... إنها العشيقة الفقيرة سلمي النبيلة المسمومة في حرمان من ذكر يلاعبها و يطفئ شوقها الجنس هي التي اختارت الحرمان .

لكن الجسد لا يفهم ولا يطيع العقل الجسد وحش لحمي دموي متلهف لرغائبه غير مترئف ولا متعفف في مطالبه النبيلة تحرقها الرغبة و جسدها يزلزلها انتفاضا وثورة حين يسمع همهمة و صال بين عبد الرحيم وإحدى زوجاته ، أو يتشمم رائحة مني يفوح نصحت أبنها عبد الرحيم ..

- إن تركت نفسك لزوجاتك ، وكـل منهن تفعل الأفاعيل لتضاجعها وتضاجعها وتضاجعها فيستمتع جسدها وتفرح نفسها ويرتفع حسها لأنها نالت لذتها وفي نفس الوقت حرمت ضراتها من الذكـر الزوج إن دخلت على كل منهن مستملحا نفسك ، وهي ترضيك لتراضيك و تنالك حتى تتهالك ويضاف إليهن سلمى ، من ادعى الشيخ بعرور أنها ملك يمينك لـن تستريح ليلة واحدة يا بني ينهكونك ويشفطونك شفطا بكهوفهن التي لا ترتوي ، وإن صببت فيهن نيلا من المني فتموت محسوا مكسورا معصوصًا اجعل لكل منهن أسبوعا ، وخلال الأسبوع ، لا تقترب منها سوى مرة أو مرتين على أكثره فوراؤك الكثير من المهام وكل

منها هام أما مشاكلهن ونقيقهن الدجاجي فلن يتوقف فكل منهن امرأة ناقصة ملتاثة وفوق هذا وهذا ، فكل منهن تظن أنها تمثل قبيلتها عندك فرفعتها رفعة لقبيلتها وتذييلها تذييل للقبيلة !

الرأي الصحيح الفصيح أن تفصلهن عن بعضهن تجعل لكل واحدة خيمة خاصة بها وبأبنائها وأنا لي خيمة وتبقى معي سلمى وخادمتي وفاء وزوجها براء ثم لا تشغل نفسك بأمورهن اتركهن لي فأنا سوف أشغلهن بإجبارهن على المشاركة في العمل في خيمتي الواسعة الشاسعة و المســاعدة في إعداد الطعام و الشراب و مع اهتمامهن بأبنائهن وبناتهن كل هذا سيقلل من مكائدهن إن كيدهن عظيم الطمع يقل ما جم .

هذا مثل لا يعرفه الطماعون المتبخترون حتى تضربهم الخسـارة و يتبخر ما جمعوه وما زهوا به و حصدوه الفرسان يعبرون بطحاء الخمساوي يخترقون الغبار العالي الحاجب للرؤية الواضحة لا يهم .. فما هم ذاهبون إليه واضح وضوح شمسهم مغر إغراء قمرهم تخطوا المسافة الغبارية وغمامها وارتاحوا من قرفها خمسة وسبعون فارسا أحزمة كل منهم يتدلى منها سيفه كـل مـنهم بنفسه مختال فرح ، واثق بما هو آت مـرح .

الكل متفائل بما سيناله من الغنائم والأسيرات الفاتنات أعلى كثيب رملي كهرماني نصبوا خيامهم القماشية تداريهم من سطوة الشمس أرسلوا المستطلعين الثلاثة بقوا يوما بنهاره وليله يتابعون الطريق ظهر اليوم التالي يعود الثلاثة بالخبر الذي ظنوه طيبا قافلة عامرة بالهوادج غامرة فرحوا واستعدوا وما اقتربت القافلة ابتهجوا بالهوادج العديدة التي تتراقص على ظهور الجمال داخلها الحريم وما أحلى الحريم للئيم والذنيم اقتربت الجمال أكثر ... إنها قاطرة جمال غزيرة ورجالها كثيرون بصورة لافتة الغرور منع عنهم التروي والفهم وازتهم القافلة فصاح عبد الرحيم الوسيم أأأأأأ. هيا !

هياااااكر بفرسه وگر معه ذو اللبدة وبقية الفرسان على ظهور الخيول والجمال وكل منهم يزأر ويصيح ويلوح بالحسام المقصود إرعاب رجال القافلة من تجار و حراس غفراء فيهربون حتى لا تراق دماؤهم ، أو يستسلمون فيحفظون حياتهم حدث هذا في كل هجوم مفاجئ على القوافل العجيب أن هذه القافلة لم ترتعب لم تحدث فيها الفوضى المعهودة ! لم يهرب هارب بل اتخذ الفرسان صفا يحول بين المهاجمين و جمال القافلة ثبت وسطهم التجار على خيولهم ، كل بسيفه وقفة محارب الخيول المهاجمة تنحدر مسرعة من أعلى الكثيب ، تصهل صهيلا مبهجا متوافقا مع صيحات فرسانها الرمال تتناثر كنافورات صغيرة من تحت حوافرها ، التي تضرب الرمال فترشق فيها لتصعد سريعا لتضرب في مكان تال قاربت الخيول نهاية الكثيب .. الهوادج انفتحت ستائرها لم يطل منها الحريم الأنثوي ثيب وكواعب ، بل رجال بذقون وشوارب ، والأدهى أنهم مستعدون بأقواس وسام متأهبة لقذف الموت والنوى هنا انتبه عبد الرحيم الوسيم وذو اللبدة هذه ليست قافلة عادية ، هذه مكيدة عنيدة ذكية لـــكن .. لا فرصة للتوقف فالخيول بفرسانها تنحدر من أعلى كجلاميد صخر حطها السيل من علي صاح الفارسان بصوت أعلى من أصوات الآخرين ، حاثين على مواصلة الهجوم فالتوقف معناه الموت المؤكد .

عبد الرحيم الوسيـــم وذو اللبدة في المقدمة تصاعدت السهام في السماء بفحيح ثعابين سامة متجهة ناحيتهم رفعوا دروعهم أعلى رؤوسهم سامحين لأعينهم بالنظر من أسفلها تساقطت السهام عليهم كالمطر أغلبها يرشق في الرمال حولهم ، فالشمس تمنع الرماة من التحديق المناسب على الأهداف السريعة ، لكن البعض أصابهم، سقط فارسان مصابان وفارس لأن حصانه أصيب الهجوم في خطر عبد الرحيم الوسيـم وذو اللبدة استمرا واستمر الهجوم أسرع وأسرع حتى يتفادوا الموجة الثانية من السهام صدام مروع بين فرسان الهجوم والدفاع هبط أصحاب السهام من الهوادج ، فالالتحام بين المهاجمين والمدافعين لن

يمكنهم من الرمي السليم بالسهام هبطوا تاركين أقواسهم مشهرين سيوفهم لينضموا للفرسان لإحكام المكيدة .

ضربات السيوف ببعضها ، ووقعها المعدني على الدروع ، مع صيحات المقاتلين وحمحمات الخيول وقد جحظت أعينها ، ورغاوي كالصابون تبجبج من أشداقها ، كل هذا يؤكد أن الموقعة القتالية ، موقعة مرعبة دموية .

سقط فارس مهاجم و فارس مدافع الخيول تتحاور مع فرسانها يدورون في كل مكان حول جمال القافلة من كل النواحي صيحات ألم المطعونين وصيحات نشوة الطاعنين من الجانبين فترة تمر والمهاجمون بدأوا يستوعبون مفاجأة فرسان القافلة ، أخذوا في السيطرة

سيفوزون رغم خسائرهم عبد الرحيم الوسـيم انقلب من الوسيم إلى الشرس القبيح غير البشري ، مؤشرا عن أنيابه زاما شفتيه فجحظت عيناه انقلب و حشا صـخريا كاسحا جامحا يصيح صيحات غاضبة متوعدة مرعبة يهجم على الفارس وكأنه سيتبارز معه يمينا بيمين ثم ينحرف بحصانه ليكون على يسار الفارس .

فيصعب عليه استعمال يمينه و عـبد الرحيم بيسراه يضرب فيه فيجرحه أو يقتله أو يلقيه يشق صفوف المدافعين و يربكهم و يضعفهم أسقط منهم ثلاثة قتلى وخمسة جرحى .

و فتك بثلاثة من المترجلين ذو اللبدة يطيح بكل من يقابله ، منهم من يسقط من أعلى حصانه ، ومنهم من يصاب فيبتعد ، أو يصاب فيسقط صريعا، أو يهرب أصلا من هذا الفارس الضخم ، الذي لا يرتدي بيضة حديد تحمي رأسه ، فرأسه حولها وأمامها إكليل شعر أسدي مفزع مرعب إكليل يتراقص مع وثبات صاحبه ، فيكون كأنه لبدة من ثعابين ترعب كل من يقترب منها الخيول في تلاحم عنيف لا يقل عنفا عن فرسانها ، تحمحم وترغي و تنفث من أشداقها الزبد و حسب عنان أسيادها هي مكرة مفرة مقبلة مدبرة معا ، وكأن شياطين مخبولة تلبستهاحتى تقابل ذو اللبدة بفارس لا يقل عنه جسامة .

سيوفهما تتقارع ودروعهما تصد الضربات الهائلات الفارس قوي شـديد عنيد ، لكنه ليس مناورا حريقا سيتمكن منه ذو اللبدة بعد لأي حصاناهما يحومان حسب شدات اللجام من سيديهما تقاربا فتقارب الفرسان المقدمان عينا ذي اللبدة توقفتا و تجمدتا أسفل عنق خصمه عقد ذهبي على شكل هلال ، مرصع بالزمرد والياقوت .

العقد يلمع تحت أشعة الشمس فيعكس بألوان قوس قزح لم يعد ذو اللبدة سريع الحركة لم يعد يجذب لجام فرسه هنا وهناك ، ولا بساقيه يوحي له أن يفعل ما يريد يتمعن ذو اللبدة في وجه خصمه الشاب الغض لذا عندما رفع درعه ليصد الضربة النازلة ارتخت يده قليلا فأعوج الدرع تحت الضربة مما أتاح للسيف الضارب أن ينزلق فيصيب فـخذ ذي اللبدة الأيمن .

ذو اللبدة وجهه بانت فيه بيانات الألم لكن عينية مازالتا تنظران لعيني خصمه ، الذي لم يرفع سيفه مرة تالية الوجهان تقاربا والعيون الأربعة تلاقت لحظة كانت كافية.

تأكد ذو اللبدة من خصمه عرفه خصمه الشاب لم يكن غبياء من العينين ومن الجسد القوي ومن موهبة القتال تعرف على ذي اللبدة يتبادلان نظرات الدهشة ، فهمد الحصانان وصارا ينظران لبعضيهما نظرات تعارف ودودة ذو اللبدة جذب لجام حصانه فالتف به و هو يصيح بكل قوته ..

- انسحاب ... البهاليل و فرسان القبائل الثلاثة .. انسحاب .

فصاح خصمه الشاب في أتباعه ..

- توقفوا .. توقفوا عن القتال.

عبد الرحيم الوسيم تعجب إن الانتصار سيكون لهم رغم كل الخسائر فلماذا يعلن ذو اللبدة الانسحاب ينسحبون صاعدين الكثيب الرملي بعد أن رفعوا جثث أربعة قتلى

وأخذوا سبعة جرحي وفي الصعود رفعوا الجثتين والفارس الذي أصيب حصانه فسقط على كتفه فانخلع عــبدالرحيم ينظر لذي اللبدة وهو ليس قريبا منه لاحظ الدماء على فخذه أصيب ذو اللبدة في نفس ساقه المصابة من قبل أعلى الكثيب نزلوا من ظهور الخيول أسرع عـبد الرحيم لذي اللبدة وجده حزينا حائرا شدوا فخذه من أعلى الإصابة بحزام قاس لتهدئة النزيف ، رفض ذو اللبده شرح ما حدث عند العودة عادوا وهم في انكسار يحملون ستة قتلى ويساندون ثمانية جرحي لا غنائم لا أسلاب بل عودة خائبة بالفشل والهباب لم يعد عبد الرحيم الوسيم مع فرسان القبائل ، صعد مع فرسان البهاليل جبلهم معهم جثتي قتيلين ، أحدهما هو سمكة الحزن على القتيلين عميق خاصة الحزين الساخر سمكة ، الذي مات دون أن يلتقي بحبيبته حسنة ، ولا ولديه حسونة وحسنين مباشرة ذهبوا بهما المــكان قصي حيث مدافنهم في حجرة ذي اللبدة ، خلعوا عنه جلبابه المتسخ الملوث بالدماء .

أرقدوه على ظهره في جلباب بسيط فخذه المصابة مكشوفة يداري آلامه ويبتسم لمن حوله مشجعا لهم ! في جانب من الحجرة خمسة مشغول بتقليب سلاح خنجر على نار ليطهره ذو اللبدة يعتذر لعبد الرحيم ولمن حوله ، يقول بكل بساطة ..

- لم أستطع قتل شاب وجدت فيه نضر الصبا وبداية انطلاقة الحياة شبعت من هدر الدم لن أقاتل بعد هذا ولكم أن تنصبوا غيري كبيرا عليكم عـبد الرحيم طلب منه الهدوء هذا ليس وقت أخذ المواقف الفارقة أتى خمسة ممسكا بمقبض الخنجر ذي السلاح الذي صار قطعة من نار ، لم يبعد ذو اللبدة عينيه ، بل مثل من حوله ينظر للسلاح وخمسة يمد يده به ، ويضغط بباطنه على جرح الفخذ فيكويه كيا الكي حريق بالغ الألم .

ذو اللبدة تأوه كانما أمه. ومن حوله يشمون رائحة شواء وشياط دم يتصاعد من الجرح الغائر يضع خمسة على الجرح دهانات سميكة من نباتات صحراوية يسقي ذا اللبدة العديد من المشروبات المرة ثم يقول للجميع ..

- هلا تركنوه ينام قليلا ؟

ترك الكل الغرفة فيما عدا عبد الرحيم وذي الندبة وخمسة ...

مولاي .. لنترك ذا اللبدة يستريح ، فهو مصاب إصابة بليغة ، ولن أكون بليغة وأنا أشرح ما في قلب ذي اللبدة ، الذي هو حقيقة سيكشف عن نفسه ، فنجد أنه شخصية هامة معروفة، وستفاجأ يا مولاي بأنني حكيت لك عنه مسبقا، وأعجب به وألححت علي لأحكي لك ماذا فعلت به الأيام والليالي ، آآآآه ، الأيام والليالي كعبلته و بهدلته كما سأحكي لكن غدا .

مــولاي..

الليلة الثامنة

توقفنا في الليلة السابقة ، وقد لاحت نهايات سعادات الاستيلاء على القوافل ، وبدأت خيبات و خسارات تلحق بتخطيطات عـبد الرحيم الوسيم و أيضا لاحت نهايات مأساة ذي اللبدة ذلك الفارس النبيل الغامض ذو اللبدة أصيب إصابة بالغة في فخذه من شاب لا هو بأفرس من ذي اللبدة ولا هو من عمره ، فمن هذا الفارس الشاب وما هي حكاية ذي اللبدة ؟

قلت لك إنه شخصية هامة معروفة، وستفاجأ يا مولاي بأنني حكيت لك عنه مسبقا هذا ما ستعرفه هذه الليلة يا مولاي ذو اللبدة مستلق في حجرته إصابته جسيمة خطيرة . برغم شحوب و جهة بسببه كميات الدماء التي فقدها فإن المشروبات الساخنة و معالق عسل النحل ، التي أجبره خمسة على شربها ، قد دفعت ببعض العافية في بدنه .

ذو اللبدة صامت ينظر إلى السقف في سكون حزين خمسة ينظر إليه نظرات أمومية وذو الندبة ينظر إليه نظرات أخوية صداقية. عبد الرحيم الوسيم عقله يدور هنا وهناك .. بداية هو سعيد بالإصابة التي إن لم تمت ذا اللبدة، فسوف تتجزه وتمنعه من أن يكون زعيما منافا له فيما بعد ثانيا ما العلاقة بين ذي اللبدة وبين الفارس الشاب الذي قاتله ؟ كيف لذي اللبدة أن يترك هذا اليافع ليصيبه هكذا ؟

في الأمر سر وأي سر أكيد تعارف وهما يتصادمان فمن هذا الفارس ؟

وما علاقته بذي اللبدة ؟

لا يمكن أن تكون العلاقة بينهما بسيطة ، وإلا ما تركه ذو اللبدة يصيبه تلك الإصابة التي بإمكانها أن تتسبب في موته أو بتر ساقه ؟

فجأة نظر ذو اللبدة إلى ذي الندبة ثم إلى خمسة..

- اتركاني مع عبد الرحيم

خمسة نظر إلى عبد الرحيم في ود ورجاء ..

- لا تثقل عليه واتركه يستريح أما ذو الندبة فقد بقي واقفا غير مرتاح للانصراف نظر إليه ذو اللبدة..

- يا صديقي . اذهب الآن وسيكون لنا لقاء خاص .

دقائق صمت . نظر ذو اللبدة إلى عبد الرحيم ..

- تتساءل عن علاقتي بمن أصابني ؟

- نعم .

- ولا تصدق حجتي في عدم قتله ؟

- أي نعم .

- وتريد أن تعرف حكايتي أصلا ؟

- بالفعل .

- عبد الرحيم ، أنا أعلم أنك بدأت تغار مني وتقلق أعلم أن بك جانبا يخشى صيتي ، وأن هذا الجانب فيك يؤلمك فإن كنت أنت ذكيا فأنا لست بالغبي ، وإن كنت لا أجاريك في السياسة، وكما أعلم إن كان جانب منك يقلق مني، فإن بك جوانب لصيقة بي وتحبني حقيقة وأنا من أجل هذه الجوانب المحبة داخلك، تناسيت الجانب الكاره فيك .

لكن .. لا وقت حتى تجادلني في هذا ما يهمني أنا وأنت. حكايتي. سأحكي لك بشرطين .

- مستجابين.

- أولا .. لا تخبر أحدا بما سأحكيه لك ثانيا.. إن لم تشفني علاجات خمسة وكان بتر الساق هو العلاج، فأرجو منك فعل شيء هام يريحني من العجز .

- إذن لن أحكي لك .

-لا

- اجعل أحدا غيري يقوم بقتلك.

- بل أنت..

- لماذا لا يكون ذا الندبة ؟!

- يعز علي أن يقتص مني أحد وأنا من أنا .....؟

- وافقت ؟

- لا أعدك فقط بأني لن أحكي حكايتك التي ستحكيها لي .

- إذن سأحكي لك ، وسأطلب من ذي الندبة أن يقتلني سيوافق بالطبع وربما يغفر لي كانت الشمس قد غابت جبل البهاليل في الظلام صامت حزين شمعة واحدة مشتعلة في غرفة ذي اللبدة ، صارت الغرفة وكأنها تسبح في غيوم غامضة بدأ ذو اللبدة بالتأوه والربت برفق أعلى فخذه المصابة ثم نظر إلى عبد الرحيم الذي ناوله كأسا من الخمر القوي تناول جرعة فارتخت ملامحه قليلا وترك الكأس بجواره .

- سأحكي لك ما لم تتوقعه من صديقك ذي اللبدة فليس اسمي ذا اللبدة ذو اللبدة كما تعلم لقب نلته لضخامة رأسي والشعر الذي تعمدت أن يلفح الرأس وجوانب من الوجه فصار كأنه لبدة أسد سأحكي لك ما ستتعجب منه وله ، لكن أستحلفك بالله ، ألا تحكم علي إلا بعد أن تتفكر وتتفكر وتتفكر ، فالإنسان في الحقيقة غلبان وإن بان كأنه متجبر . اسمع يا عبد الرحيم الوسيم حكاية ذي اللبدة، الذي هو في الحقيقة الفارس المشهور المغوار بشاكر البهادري .

- ماذا ؟ أنت الفارس بشاكر البهادري ؟! أنت معلم الفارس التلي الذي هو معلمي ؟! يا لها من دنيا غريبة عجيبة .

- لا تقاطعني.

- القبائل كلها محتارة من اختفائك، وأنت هنا بيننا كل هذه السنوات ؟!

- قلت لا تقاطعني فالغرائب لم أحكها بعد.. اسمع..

ولدت ابنا بكرا لزعيم قبيلة البهادرية، واسمه عدي ناير الطامي البهادري. ووأمي سمية وأختي التي تصغرني أسمها خنس عيشتنا هانئة فأي طيب حنون وأمي محبة لنا رؤوم الفروسية فطرة ربانية عندي صرت فارسا هائلا تخطيت من علموني من فرسان القبيلة ولم أكن قد تجاوزت الرابعة عشر.

ولأن موهبتي فطرية ، قالوا إن الجن الحمر هم الذين علموني فنون الفروسية، ولقنوني اللعب بالسيف لعب حرفنة و كيف عندهم حق في حيرتهم والالتباس ، فألحقوا تلمذتي للجن و ليس للناس فما لي من صـنو بشري في المبارزة و الالتحام والضرب بالحسام ، كنت فريدا وعنيدا ساعدني جسدي الشديد الطويل العريض ، وساعداي الطويلان يقال إن هيئتي طبق الأصل من جدي الطامي الطامي كان هكذا ضخما رهيبا ذا فتوة وعظيم قوة الدنيا مقبلة علي وأنا مسرع إليها .

لكن لم تطل سنوات الهناء لوثتها إراقة الدماء كانت حرب قديمة بين قبيلتي وقبيلة مجاورة سفكت فيها الدماء بغزارة سكنت الحرب سنوات سلم مرت كالحلم ، ثم عاد كابوس الحرب بكؤوس مترعة من المرارة والظلم .

تهور بعض الشباب من الجانبين، اشتعلت الأمور بين القبيلتين صارت الحرب قاب قوسين أو أدني مبادرة طيبة من قبيلتنا البهادرية أبي زعيم القبيلة توجه مع بعض كبار القبيلة وشبابها ، ليزوروا القبيلة الأخرى ويتفاهموا لوأد الشر

كنت قد وصلت لسن الخامسة عشرة رفض أبي أن يأخذني معه رغم إلحاحي .

أبي ووفده المسالم وقعوا في كمين ماكر خبيث أشر مجموعة من الشباب المتهور الغبي هجموا على أبي ومن معه و أحاطوا بهم دار القتال وكان النصر لأصـحاب الكمين الغادر

الفاجر قبيلتي تلملم جراحها ، عليها أن تنتقم بعد استكمال استعدادها لكن أنا ليس بي صبر للصبر سأنال ثأري من أصحاب الغدر .

عـرفت من كان قائد المكيدة الخسيس ، فصرت أتصيده حتى وجدته في رعي لإبله ومعه أبوه وأخوه الذي يصغره هجمت عليهم صائحا لأنذرهم بالهجوم فيستعدوا ويشهروا السلاح. ارتقوا خيولهم التلاثة، فلما اقتربت بعصاني ابتسموا ساخرين من هذا المهاجم المبتدئ الذي ليس له من فرصة فلاح ودخلنا في مبارزة لم تكن متكافئة، فأنا صبي ووقتها كنت بخمسين فارس وهم مجرد ثلاثة .

أولا وقبل أن أحاور بحصاني ، بطعنة نجلاء قتلت الشاب الأرعن زعيم العصابة التي قتلت أبي ثم أصبت الأب في بطنه فسقط من جواده أما ابنه الأصغر، وكان يكبرني بحوالي ثلاث سنوات ، فقد رميته من أعلى حصانه ووثبت عليه وهو ملقي على الرمال وضعت سيفي على رقبته وهو ملقي مدهوشا دون حيلة. كنت أهم بقتله دون رحمه ، أبوه لم يكن قد فارق الحياة بصوت مرتعش ترجى في النخوة العربية ، قال لقد قتلتني وقتلت ابني الأول، هلا عفوت عن الثاني رحمة منك يرحمك الله كان يبكي وهو يرجو عفوي عن ابنه الابن الأصغر وسيفي على رقبته صار ينظر إلي في رعب قلت..

- أبي عدي البهادري قتلتوه بخسة ، وأبي ظفره أثمن من رقابكم أنتم الثلاثة ، سوف أعفو عنك أيها الشاب من أجل أبيك الذي بكي كالنساء لكن سوف أترك لك ما يذكرك بفعلتكم الخسيسة طوال حياتك بذؤابة سيفي، مررت به على خده الأيمن ، فأحدثت به ندبة تبدأ من صدغه وتهبط حتى أسفل ذقنه هنا بهت عبد الرحيم الذي يستمع لبشاكر .قاطعه..

- إذن ذو الندبة الذي يعيش معك ويعمل معك ، أخوه من تزعم العصابة التي قتلك أباك ! ثم أنت قاتل أبيه وأخيه ومشوه وجهه ؟! و

هو لا يعلم من أنت رغم كل هذه السنين ؟ عاد بشاكر للحكي ..

شاهد ثلاثة من رجالهم ما جرى ، أسرعوا على خيولهم ليلحقوا بي لكن أنا لم أهرب أراقب الذي شوهت له خده حتى ظهر عظم الخد منه أخذ خطوات وهو يضع يــسراه على خده المشقوق وصل حيث أباه ملقي يلفظ أنفاسه الأخيرة ركع وبيمناه يحمل رأس أبيه على فخذه. يبكي وهو يشاهد سكرات موته.

ثم يعدو ناحية أخيه وهو ينظر لي في غيظ وأنا ابتسم له في شماتة، هذا لأزيده حرقة كما حرقوا كبدي على أبي يركع عند أخيه .. لقد مات بطعنتي فورا تركت هذا التعس ونظرت ناحية الثلاثة العادين عل عدوت عليهم وفعلت فيهم ما فعلته في سابقيهم . لكن لم أرحم أحدا بأن أشوه وجهه وأتركه حيا بل جندلتهم في دقائق عدت للقبيلة فاحتفلت بي وأخذوها فرصة والقبيلة العدوة قد زلزلت بمقتل خمسة منهم وتشويه سادس كررنا عليهم اليوم التالي وهزمناهم هزيمة منكرة ، وأدبناهم على خستهم في المكيدة ، أخذنا منهم عوضا عن قتلهم لأبي وفرساننا .

عدنا لمضارب قبيلتنا نحتفل باحتفاظنا بكبريائنا وسمعتنا بين قبائل الصحراء. عمي سليمان تولى زعامة قبيلتنا ، فأنا مازلت في عرف القبيلة صبيا لم يتخط الخامسة عشر

هذا رغم فروسيتي المذهلة وقتلي لخمسة وجرح سادس في أقصر وقت ممكن أن يتخيله فارس لم أكن راضيا تماما ، لكن خشيت إن واجهت عمي أن يحدث شقاق في القبيلة صمت ورضيت ، لكن عمي سليمان لم يرض برضائي !

لم يكن مرتاحا لفروسيتي و بطولتي وصيتي الكبير ، وسمعتي التي جاوزت قبيلتي أصلا هو ليس مرتاحا ولن يرتاح طالما أنا حي أتنفس يخشى يوم أن أتخطى فترة الصبا للشباب فأطالب بأحقيتي في الزعامة حينها لن تكون كلمتي هي الأولى ، ولا كلمته ، بل كلمة كبار القبيلة. فكبار القبيلة كلمتهم نافذة في حالة التنازع على الزعامة عمي سليمان يأمل ويعمل ليظل زعيما للقبيلة ، ومن بعده يكون ابنه ميهوب.

ومیهوب یصغرني بعام واحد هو فارس بجانبي هو فارس جید. أخته التي تصغره هي هیبة، فتاة طیبة جمیلة أحببتها وأحبتني، أریدها زوجة وتریدني زوجا، فما المشكلة؟ المشكلة أن عمي سلیمان دبر أن یتزوج ابنه میهوب من أختي خنس، وألا أتزوج أنا ابنته هیبة زواج ابنه من أختي بند لیكون میهوب الزعیم من بعد أبیه سلیمان، وإبعادي عن الزواج من ابنته هیبة ، بند من بنود إبعادي عن الزعامة سلیمان عمي خبیث خسیس مع الوقت أحسست بأن حتى صدیقي وابن عمي میهوب صار قلبه لا یستریح لي ، كان صدیقي الوفي ، انقلب تحت تأثیر أحقاد أبیه .

آآآآه، سأختصر الحكي ، فآلام ساقي تزداد، وربما ضربتني الحمى فلا أستطیع استكمال حكایتي محمدشاب ابن عائلة تعتبر غنیة في قبیلتنا محمد شاب طري ناعم كثعبان ظهر لي كمنافس على الزواج من هیبة ابنة عمي .

هیبة ابنة عمي تریدني أنا ، لا تمیل لهذا الشاب الذي إن قارنته بي فهو المخنث عمي سلیمان یماطلني في الموافقة على زواجي من ابنته .

قالت لي أمي سمیة ، احترس من عمك سلیمان، فهو یدبر ویخطط لیمنعك من تولي زعامة القبیلة. طلب الزواج مني وقد رفضت، فأنا من بعده أبیك السامي لن یقترب مني متدني، ثم هو حقیقة لا یرید حفظ أرملة أخیه كما قال لي ، أعلم أنه یرید گسري حتى لا أقف معك یا بني یوما من الأیام .

الآن تأكد لي أنه سیقف حجر عثرة أمام زواجك من ابنته ، وأنك فقیر حجته ، فوالدك كان یعمل للقبیلة ولم یعمل لجمع مال لنفسه ، كما یعمل أخوه الصغیر الحقیر سلیمان أنا بكل فروسیتي وجبروت سیفي ورمحي ، قلبي أرق من خد فتاة صغیرة لا أستطیع أن أهدد عمي ، أو أهدد حمید هذا. ماذا أفعل ؟

ترجيت عمي القاسي أن يوافق على زواجي من ابنته كل ما نلته منه قوله إنه سيمنحني فرصة عام كامل ، لأكون مستعدا بمهر لابنته هيبة ، مهر قيمته خمسين من الإبل وعشرين دينارا ذهبيا ! هذا تعجيز لي ، فأنا لا أملك سوى عشرة من الإبل ولا أملك سوى ما يجمع ثلاثة أو أربعة من الدينارات الذهبية و جدت أن الكثيرين يأتون في الأعلمهم فنون الفروسية ، فقررت أن تكون هذه مهنتي .

فالمستعدون للمران تحت إشرافي كثيرون يحلمون بالشهرة أنهم تخرجوا من تحت سيفي في هذا الوقت جاء في التلي لم أكن أتقبل أي فارس بسهولة ثم قبلت التلي فتى صغيرا لكن أنبأني بمقدرته أنه سيكون فارسا خطيرا .

ثـم وجدت أن كل من يأتي ليتعلم مني فروسيتي فقير. فهم بدو رحل وليسوا من الحضر. وما أكسبه منهم قليل ، وأنا خجول لا أستطيع أن أطلب من الفرسان ما يعجزهم قررت أن أترك القبيلة واتجه لمملكة الأنهار الجارية ، لماذا ؟

لا أعرف . ربما وجدت فرصة عمل . لكن ماذا أعمل ؟

لا أفهم إلا في الفروسية ورعي الإبل أمي سمية بكت ، وهي تودعني وصارت تدعو الله أن ينتقم من عمي سليمان ودعتها وودعت أختي خنس وليلا بعيدا عن العيون كنت أودع هيبة ابنة عمي بكت بكاء عميقا ارتمت في حضني تنتحب كادت تدعو هي الأخرى على أبيها أن ينتقم الله منه ، لكن في أغلق فمها لا خشية على أبيها ، بل خشية على هيبة أن تضر بأبيها فتندم يوما مـا رحلت اليوم التالي كـل ما أملك فرسا شابا ورمحا وسيفا وقوسا. الصحراء مفتوحة والآمال مذبوحة، والقلوب مجروحة .

مقابل طعام يومي عملت عند القبائل التي في طريقي عملت راعيا وعملت في بئر أستخرج المياه منه للناس ولإبلهم لم أجعلهم يعرفون من أنا وصلت إلى مملكة الأنهار الجارية وجدت رجلا يطلب شبابا للعمل في منجم ذهب. ذهبت.

أدوات قتالي في لفافة مع بعض أغراضي، لا أريد لأحد أن يعلم ما بها رحلت مع الراغبين في العمل رحلة طويلة مكان ناء موحش ليس به سوى المنجم و مبنيين وشجرة جافة ميتة على بعد منجم الذهب عميق مدخله ضيق هابط لأسفل من يهبطه عليه الحذر وإلا زل وسقط وتدحرج لمسافة سـفلية بعيدة وربما كسرت عظامه من الدحرجة بـل ربما تدق عنقه وينتهي بذلك أجله بجواره المبنى الأول مبني حجري به ثلاث حجرات شاسعات اثنان لمبيت الشغالين وأكلهم وطعامهم .

والثالثة بها بوتقة صهر تراب وصخر التبر لاستخلاص الذهب وحجرة أخرى متوسطة بها رئيس العمل ومساعدوه الثلاثة وعلى مسافة مائة خطوة ، يقع المبني الثاني وتعيش فيه أسرة يهودية إنه سكن ومحل عمل في نفس الوقت ، هو مكان صناعة الحلي وتطعيمها بالجواهر اليهود على مقدرة فذة في صنعتهم هذه عملت عملا شاقا في بطن المنجم أعجب بقوتي وفتوتي واجتهادي المسئولون عن العمل .

فأنا لا أخشى الأعماق وأحمل أجولة الصخور والأتربة لأعلى المنجم ولا أكل ولا أمل ورغم هذا فهم يعاملونني معاملة أقــسى وأحقر من معاملتهم لزملائي ، فأنا في عرفهم بدوي متخلف همجي لهجتي مبعث سـخرية لهم طريقة جلوسي و ملبسي وكل ما أقوم به لا يعجبهم حتى زملائي وهم في غلب مثلي يتعالون علي !

إن حملت خنجرا وأمسكوا سكاكينهم ، فباستطاعتي أن أذبحهم كلهم في دقائق ، فما بالك بسيف ؟ يوما بعد يوم أجمع ما أكسبه ، سوف أعود قبل انقضاء السنة وأتزوج حبيبتي ابنة عمي هيبة ما جعلني أقرر ترك العمل ، أن المسئول الكبير قرر أنه بعد إنهاء عملي في المنجم نهارا أن أكون خادما له ليلا !

علي أن أبات خارج حجرته على حشية خشنة ، ألبي طلباته من تنظيف المكان وتحضير بعض الطعام و الشراب ، وغسل ملابسه ! وليس لي أن أرفض، فأنا بدوي ولست حتى

مدنيا من مملكة الأنهار الجارية مثلهم رفضت، فبدأ يهينني بالقول وبالسخرية هو ومساعدوه. العائلة اليهودية من أب وأم وثلاثة فتيان ودودون مهذبون. لا يتدخلون في شئون غيرهم ، في أعيادهم يقدمون لنا نحن الأجراء أنواعا من الخبز والمعجنات التي من قبل أن تصل فمك تتنسم رائحتها الطيبة. لاحظت أنه عندما يكون القمر محاقا، تأتي كوكبة من فرسان الملك ، ملبسهم قشيب وبيضات حديدية على رؤوسهم مذهبة.

أعلاها ريش قاني الحمرة معهم جمل ضخم يأخذون صندوقا كبيرا معبأ بما تم جمعه وصهره من ذهبوصندوق صغير به الأحجار الكريمة التي شكلتها العائلة اليهودية في المحاق التالي نفس الشيء هـنا فكرت في الانتقام من رؤسائي الذين يعاملونني بكل هذه المهانة ، وأيا من زملائي فكلهم من ناس المملكة المستكبرة علينا معشر البدو تركت العمل فجأة صباح يوم لم يجدوني بينهم كنت على حصاني أقطع البادية عودة لقبيلتي أمي سمية ترتمي على صدري رأسها بالكاد تصل لبداية صدري ، وكذا أختي خنس يبكيان حزنا على تعاستي وفرحا بعودتي القبيلة سعدت بي وأقامت حفلا ليلا بة العشاء والرقص والغناء هيبة كانت سعيدة سعادة لا توصف ، لكن عمي سليمان كان متجهها ، وفي أول

لقاء بيننا كان تحذيره ..

- مضت شهور ولم تستعد بالمهر بعد ، إن مر العام فلا تلومن إلا نفسك محمد يبتسم استهزاء بعودتي الخائبة ، ظن أنه ضمن ابنة عمي هيبة له ميهوب يحتضنني ويضحك في وجهي ، لـكن بكل حسرة ، حضنه وضحكه رياء وغيره عندما هدأ الحفل قليلا ، كنت بين كبار القبيلة ووسطنا عمي سليمان وعلى يمينه ميهوب قلت لهم ما جئت به.. الذهب والأحجار الكريمة ، من ياقوت و زمرد وغيرهما و ميقات محاق القمر وسهولة انتزاع ما نريد ، فنكون من أغنياء القبائل بضربة واحدة ولـن نقتل أحدا ، فقط رئيس العمال الذي حاول إذلالي كخادم عنده فسيفي يجب أن يشرب من دمه .

قبل محاق القمر الكامل بليلة ، كنا نحيط بالمكان أنا ومعي ميهوب الذي أصر عمي سليمان أن يكون معي ، وتسعة من الفرسان تركنا خيولنا ، تسلنا ، دخلنا المبنى الخشبي الذي يبات فيه المسئولون فانوس واحد فقط منير. السيوف على رقاب الخمسة أفاقوا ومنعناهم ليس من الكلام فقط ، بل من الهمس مرعوبون.

ربطناهم بالحبال من أكتافهم حتى سيقانهم ومكممة أفواههم ، عدا الرئيس القاسي ينظر لي غير مصدق يحاول أسترحامي بنظراته فأرد له بنظرات سخرية ووعيد خرجنا بالرئيس انتبه العاملون الذين كنت واحدا منهم حاولوا الخروج فشاهدوا السيوف تلمع في الظلام أمام وجوههم ارتدوا مرعوبين تحت تهديدنا..

- اصمتوا تسلموا، تصيحوا تندموا. أحضرنا صندوق الذهب وصندوق المصاغ والأحجار الكريمة حملت الرئيس على كتفي ببساطة وسرت به وهو يحاول الفلفصة يعلم أنني سوف أنتقم منه عند فتحة نفق الحجر ، قذفته فيه فصار يتدحرج كأنه صخرة ألقيت تتكسر عظامه وهو يوالي السقوط للأعماق حـتى هدأ صوت الارتطامات المكتومة لا

أعلم هل تكسرت عظامه أم دقت عنقه ؟

غدا سوف يعلم جنود الملك العائلة اليهودية أحست بما يجري ، لكن لم يصدر منها أي صوت ولا أي ضوء ، بقيت في مكمنها تترقب هلعة لم نقترب منهم ، قلت للذين معي لم أنل من العائلة اليهودية أي ظلم ، فلن نظلمهم نحن أيضا. أسرعنا بالهرب في الصحراء والليل المظلم يسترنا وفي النهار سوف نستمر في التوغل في صحرائنا ، فعسكر الملك لن يستطيعوا مطاردتنا لمسافات طويلة ، فهم لا يفهمون الصحراء ويهابونها .

القبيلة استقبلتنا استقبال الأبطال المغاوير، النساء والفتيات يزغردن لنا فرحات فقد أتبنا برزق لم تحلم به قبيلة من قبل ، وصعب أن تحصل عليه من بعد الرجال والشباب والفتية والصبية مبهورون بنا ، وخاصة بي أنا الفارس المغوار بشاكر بن عدي البهادري كل أسرع

لعائلته لتفرح به في خيمة أبي بقيت ســـــاعات مع أمي وأختي جانب من الخيمة مـرفوع لأقصى علو أنظر لمضارب القبيلة ومحيطها بشوق الفرحة على سمات وجهيهما لكن خلف تلك السمات توجد خلجات وجلات قلقات ! ما هي ؟

لا أدري أمـي تعد في لأستحم و أبدل ملابسي و أقوم بتشذيب شعري و لحيتي و شاربي أختي خنس وهي مشغولة بإعداد طعام دسم لي ، تسألني مائة سؤال وسؤال ، تريد أن تعرف كل ما حدث وكل ما سيحدث ثم تسرد لي ما كان من الشاب الذي قتلت أبــاه وأخاه وشوهت وجهه.. يريد الثأر من قتيليه ومن خده الأيسر الذي انقسم خدين.

هذا رغم تحذيرات قبيلته له ، فقبيلته لا قوة لها للتصدي مرة أخرى لقبيلتنا جاء يحوم حول مراعي قبيلتنا وجد شابة من قبيلتنا مع عدد من الجمال اقترب منها ولم يكن في غرضه أمر سيئ ، غير أن يلعنك أنت يا بشاكر ويسب قبيلتنا.

لم تسكت له الفتاة وضربته بالعصا التي معه. ثار هو ولعنها، تشاجرا .. ضربت رأسه بحجر فشجته ، أخرج خنجره وطعنها طعنة كادت تقتلها أتانا كبار عائلته واعتذروا و دفعوا الدية عشرة جمال و خمسة خيول لم يستكف عمنا سليمان و من معه من كبار بل طالبوا بأن يتم نفي هذا الشاب الجبان الذي اعتدي على فتاة، والاعتداء على الحريم في عرف قبائل البدو خسة ما بعدها خسة. قبيلة الخسيس كانوا خائفين من فرساننا خاصة أنهم علموا بأس وقوة المغوار بشاكر بن عدي. والحمد لله أن الفتاة لم تمت .

وافقوا على نفي الشاب. علمنا أنه ذهب ليعبر بطحاء الخمساوي الينضم لبهاليل الجبل هناك أمي تطلب منها الصمت ولو قليلا ، وأنا سعيد بينهما وقد ضمنت أن أتزوج من أحبها و بمجرد أن سألت عن هيبة، صمتت أمي و انكتمت أختي قلبي يكاد يتوقف من الرهبة ، حدث أمر جلل ، حدثت مصيبة ما ألجمت أمي وأختي. سألت.. لا إجابة.

توجهت ناحية أمي وأنا أنظر إليها في حيرة وغضب قالت لأختي أخبريه أنت يا للمصائب التي تأتي في وقت من حقنا أن نسعد فيه قالت أختي ما طعنني في صميم قلبي ، لقد زوج عمي سليمان ابنته هيبة ، زوجها من الشاب الطري محمد صرخ صرخة زئيرية وبقبضتي ضربت ضربات متواليات على جانبي رأسي ركعت أرضا تغسل بائسا خاسئا .أردد اسم هيبة .. هيبة.. هيبة ثم بصوت عال ..

- يا ويلك مني يا سليمان با من كنت عمي.

ارتت أمي وأختي علي يمنعاني من الخروج ، فخروجي هكذا معناه دم سيسيل تحت تضرعات أمي جلست ناظرا لسقف خيمتي الواطئة قالت خنس إن هيبة بكت بكاء.

حارقا لتزويجها رغم أنفها لهذا الحميد وأنا في سني هذه التي و صلت إلى السابعة عشر أمي قامت بـأمر استحمامي وأنا في ذهول ألبستني ملابس نظيفة أنيقة قالت يجب أن تكون في أحلى حلة ، ولا تسقط مهزوما فأنت بشاكر بن عدي ، أنت المغوار بشاكر البهادري أذهب إلى خيمة اللقاءات و أنت مرفوع الرأس ، فأنت الزعيم الحقيقي للقبيلة وسوف تنحي عمك النذل .

خيمة اجتماعات كبار القبيلة النساء و الأطفال خارج الخيمة جالسون ينظرون داخلها داخل الخيمة التي فرشيت على أرضيتها الأبسطة ، الترتيب كالعادة .. الزعيم سليمان في الصدارة وعلى يمينه ميهوب ، والغريب أن الجالس على شماله هو حميد خلف كل منهم وسادة يستند عليها و يعوج حين يريد كبار القبيلة على الجانبين بقية الرجال و الشباب بعدهم الكل في أفضل ثيابه وأنعمها دخلت الخيمة متأخرا .

بمجرد دخولي ران صمت متوتر ضخامة جسدي وهيئتي ووجهي الذي يحمل في ثناياه انبعاثات براكين الكل يعلم ما فعله زعيم القبيلة النذل نظراتي اتجهت حيث حميد متأنق مغرور ينظر لي مبتسما في ترفع وكبرياء لا مكان لي في الصدارة، عمي سليمان وابنه ميهوب

وربما حميد ، يتوقعون مني أن أجلس وسط الشباب بعيدا عن الصدارة . هدوئي ينسحب مني سريعا تقدمت من الصدارة ، لم أتقدم لعمي وأقبل كتفه كشاب من القبيلة ، أو رأسه كابن أخ له كما هو الواجب تقدمت ناحية حميد مددت يدي وأنا أنحني قليلا ، وأمسكته من تلابيبه وأوقفته ، فوقف مرعوبا والجميع يتابعون مبهوتين . دفعت به بعيدا كأنه خروف ليس إلا .

وجلست مكانه ثم ألقيت بالوسادة التي خلفي للأمام فسقطت وسط الخيمة نظر لي عـمي بغيظ وهم باللوم لكنه لما رأى نظراتي القاتلة صمت حميد منكسرا ذهب ليقف في نهاية الخيمة بعد مجالس الشباب ، وبعده النساء والأطفال .

أتي شابان فارسان من الذين كانوا معنا ، كل منهما يحمل صندوقا من صندوقي الغنائم الكبير والصغير وضعا الصندوقين أمام عمي فتحا الكبير مد عمي يديه وحمل كبشتين من سبائك الذهب الصافي ورفع يديه عاليا ، فصاح الرجال فرحا وزغردت النساء .

نـسى الجميع ما كان متي و نسوا حميد الواقف بعيدا في خزي قـام عمي فقام الجميع عداي انحني أمام الصندوق الصغير ، صندوق الأحجار الكريمة والمصاغ أول ما أظهره.. عقد ذهبي على شكل هلال ، مرصع بالزمرد والياقوت ، مبهر يشح بألوان قوس قزح رفعه لأعلى معجبا به ، فقال قائل منافق من كبار القوم ..

- هذا العقد الفريد ، يكون من حق الزعيم الزعيم يضعه على صدره ، يكون فخرا للقبيلة كلها. وافقه الكثيرون ميهوب ، ساعد أباه في وضع العقد تدلي العقد من رقبته ليصل أعلى صدره فعلا عقد فريد مبهر ثم بقية الحلي والأحجار الكريمة بشتى الأشكال والأنواع إنها بحق غنيمة وقف شاب من الذين كانوا معي وقال ..

- لا ننسى أن كل هـذا الخير العميم من تفكير و شجاعة فارس القبيلة المغوار بشاكر بن عدي صمت الجميع و بان عدم الرضاء من سليمان لكنه ابتسم وقال..

- فعلا . أنا فخور بابن أخي .

هذا كل ما قاله عمي ! ثم بدأ التفكير في توزيع الغنائم. القلادة للزعيم وهي شرف للقبيلة و لكل زعيم من بعده ثم له خمسة أسهم وبعدها لكل ذكر بالغ في القبيلة سهمان وكل امرأة سهم وللفرسان الذين ذهبوا وغامروا ، كل منهم ثلاثة أسهم .

رضي وضحك الكثيرون، وقف الشاب الذي ذكرني بالخير أول مرة ليقول ..

- وهل المغوار بشاكر بن عدي، نصيبه مثله مثل بقية الفرسان ؟

تضايق سليمان منه ، وقال..

- هل أنت قدر ابن أخي أكثر مني ؟

أو تكون قريبا له أقرب مني ، وأنا عمه وزعيم القبيلة ؟

بشاكر فارس مثل بقية الفرسان وله ثلاثة أنصبة ثم دخل عمي سليمان في حوار مع كل من القبيلة هنا لم أتمالك نفسي فوقفت وسرت لوسط الجموع صمتوا ونظروا ناحيتي أمي من بعيد ومن وسط النساء صحت..

- بشاكر. بشاكر.

نداؤها إحساس من أمومتها بأنني على وشك الانفجار ، تحذرني وتسترحمني أن أهدأ هدأت قليلا. قلت..

- كل هذه الغنائم من فكري و مجهودي أنا وأنا المغوار بشاكر بن عدي زعيمكم عدي الذي قتل في سبيل درء الحرب عن قبيلته ، هل نسيتموه ؟

أنا بشاكر ابنه، نصيبي من الغنائم لن يقل أبدا عن نصيب زعيم القبيلة فهو لم يفعل شيئا وأنا الذي فكرت ودبرت وفعلت ابن عمي ميهوب صاح ..

- احفظ لسانك يا بشاكر وإلا .

نظرت إليه مهددا، أبوه أمسكه من كتفه ليهدئه. استكملت كلامي ..

- لي خمسة أسهم ولن يقلوا سهما عمي قال لي في سخرية ..

- وإن لم أعطك خمسة أسهم ؟

- سأنال عشرة بسيفي .

- أتهددني يا بشاكر ؟ تهدد زعيم قبيلتك ؟

- العام القادم أنا سأكون الزعيم فسأبلغ الثامنة عشرة أنا ابن عـدي لا أنت صمت مثير في الجموع وقف ميهوب وتفتم ناحيتي على جانبي ميهوب شابان تابعان له ، ومن خلفه ثالث من خارج القاعة حيث النساء تقدمت أمي وأختي و هيبة متوقعات شرا وكل منهن تريد أن تـسرع وقت اللزوم توقف بشاعات ممكن حدوثها ميهوب و سحنته تبين كم يبغضني قال لي..

- لن تكون الزعيم يا بشاكر. ولن تفرض علينا ما تريد يا ابن عمي .

- ارجع مكانك يا ميهوب . فلا أريد قتالك .

- لكني أريد ، فلن أتركك تهين أبي .

- مـيهوب ، تعلم من أنا تتشجع علي مطمئنا أن معك تابعين ؟ إن قاتلتني فلن ينفعك هذان الكلبان في هذه اللحظة تكلم الذي أتى من الخلف ، الرقيع حميد صاح ..

- الزعيم طويل العمر هو سليمان . ومن بعده ميهوب.

التفت نحوه فتراجع سريا ليختفي خلف النساء ضحك بعض الحضور على جبنه أما هيبة فنظرت ناحيته في قرف ثم نظرت لي الأهدأ هدأت قليلا تقدمت ناحية الصندوقين لأخذ منهما ما أريد فإذا بميهوب يتقدم ناحيتي ليوقفني .

دفعته جانبا فإذا به يشهر سيفه و الثلاثة أتباعه مثله هنا لم أعد أرى إلا النار و كأن من هم أمامي كقار سيفي في سرعة البرق برق وانطلق هجم علي ثلاثتهم فأوسع الناس لنا أمي وأختي وهيبة من حولنا يصيحون لنتوقف عن القتال .

سليمان وقف حيث هو وقلبه مرعوب على ابنه ميهوب : لحظة وصرخ فقد بعثرت من يحاربون مع ميهوب بعيدا .

وخطوة مني جانبية وخطوتان للأمام صرت في مواجهة ميهوب، تلافيت ضربته وطعنته فبهت متأها وهو يضع يده حيث الجرح في القلب ، ويسقط بلا حراك وسريعا ألحقت به رفقاءه الثلاثة غارقين في دمائهم لا أرى النساء ولا أسمع صراخين ، تقدمت من الصندوقين وبدلا من أن آخذ منهما ما أريد ، وجدتني أركلهما فأبعثر ما بهما على الأبسطة.لمحت سيف سليمان يتقدم ناحيتي والعقد ينتفض أعلى صدره ، وهو يصيح طلبا لثأر أبنه أتخذت خطوات ناحيته ، ضربات سريعة تراجع أمامها فسقط أرضا على الوسادة التي كان يتكئ عليها متفاخرا.

قبل أن أخطو ناحيته ، يدان أمسكتا بي من وسطي ، صوت أمي ترجوني ألا أقتل عمي توقفت نظرت جانبا أمي تركت وسطي ووقفت بجوار كتفي تقول لي يا ابني .. وقبل أن تستكمل كلامها ، كان عمي قد انعدل سريعا وأخذ فرصة انشغالي و طعنني و هو منتصب على ركبتيه ، طعنة أصابت ركبتي اليمني .

صرخت ألما من الغدر، وبقدر أكبر من الطعنة الخسيسة، صرخت أمي ألما وهي ترى سيف عمي الجبان ينسحب وصاحبه يقف ليطعنني طعنة نهائية، لكن في سرعة و قبل أن ينتصب و اقفا سيفي يضرب من اليمين لليسار أفقيا ليقطع رقبة عمي ، فتسقط رأس سليمان وتتدحرج على البساط ناثرة الدماء ، ثم جسده يميل ليقع جانبا على صندوق الذهب والرقبة المبتورة تصب في الصندوق ينبوع دمائها.

تتفجر الدماء في سرعة وكأنه فيض لا ينقطع بعض من رشاشها يصل للعقد المتدلي ويتقاطر منه للصندوق ران صمت رهيب على الكل بمن فيهم أنا لحظتها وأنا أتابع دحرجة الرأس المقطوعة ثم ثباتها على جانبها وهي تنظر ناحيتي فاغرة الفم جاحظة العينين ، لحظتها

وأنا أتابع الجسد منزوع الرأس وهو ملقى على صندوق الذهب يصب فيه دما. لحظتها فقط أحسست وقدرت ما فعلت .. لقد قتلت ابن عمي وعمي! لقد قتلت ثلاثة من شباب قبيلتي ! وجدت حضنا أنثويا يحتويني أمي سمعت لعنات تلعنني صوت رجالي ناعم إنه صوت حميد لـوم يعصرني ونار تكوين ي .. أأقتل عمي وابن عمي وثلاثة من شباب قبيلتي ، وأترك هذا المخنث المنافق العلق ؟

أبعدت أمي وأسرعت بحثا عنه وسيفي يقطر دما ويبحث عن مشرب جديد اختبأ الجبان خلف الرجال أسرعت ناحيته فابتعد الكل خائفين من غضبي وتركوه أمامي مكشوفا مرعوبا يبكي و يستعطفني لا أسمع ما يقول أراه فقط وهو يخنع ويخضع و يتوسل رفعت سيفي فارتمى على ظهره صارا مستغيثا ، وإذا بابنة عمي هبة تسرع لترتمي بظهرها على بطنه و ترفع يديها عاليا وهي تستعطفني .

- بشاكر. لا تقتله. لا رحمة به فهو حقير .أمي وأختي من خلفي تمسكان بي. ترجوني أمي..

- كفى سفا للدماء ولدي، اسمعني، كفاك. كفاك. كفاك.

أختي تتشبث بيميني حيث السيف ..

- بشاكر. من أجل أمك وأختك وهيبة ابنة عمك كفاك لا أعلم كيف قسوت عليهما وأبعدتهما عني في خشونة تقدمت من حميد المختبئ تحت هيبة هيبة ترجوني..

- اسمعني يا بشاكر. إني حامل منه وفره من أجل من في بطني وليس من أجله، حميد أتفه من أن أدافع عنه من أجل من في بطني فقط يا بشاكر.توقفت التف حولي أمي وأختي.

أتاني كبار القوم و بعض الشباب الذين أحبهم ، فقد هدأت قليلا شعرت بآلام في ركبتي اليمني إصابة سيف الجبان الغادر سليمان الكبار تحلقوا حولي مبتدين الشباب قال كبيرهم في غضبا ..

- قتلت زعيمنا يا بشاكر! قتلت عمك وابن عمك وثلاثة من أبنائنا. لن تسامحك القبيلة. نظرت إليه في احتقار..

- شاهدتم ابن عمي وهو يرفع سيفه علي ليقتلني أولا ومعه منافقوه الثلاثة شاهدتم عمي وهو يتقدم ناحيتي ليطعنني أنا دافعت عن نفسي جالس في خيمتي .

جرح ركبتي مربوط والنزيف توقف. الليل خارج الخيمة وداخلها أعرف كيف جرى ما جرى وتم ما تم. أمي سمية راقدة على جانبها تبكي وأختي خنس تربت على كتف أمها تواسيها. صراخ النائحات من كل مكان حول وبين خيام القبيلة صراخ هيبة واضح فاضح تبكي أباها وأخاها ، لكنها لا تسب ولا تأتي بسيرة القاتل ، فالقاتل من يحبها وتحبه رغم ما فعل القبيلة في ذهول .. الزعيم قتل ابن الزعيم قتل والقاتل ابن أخ الأول وابن عم الثاني وهو أيضا ابن الزعيم السابق !

لم تفرح القبيلة بالغنيمة المذهلة ، بل نالت فجعة ووقعة وحسرة لا قرار لها في نفس تلك الليلة قرر الكبار.. القاتل و القتيلان من نفس الأسرة و القاتل بالفعل كان في حالة دفاع لا حل لنا إلا بنفي القاتل ، نفي بشاكر بن عدي بطلنا المغوار حتى الصباح الباكر لم ينم أحد من ثلاثتنا ، لا أنا ولا أمي ولا أختي ، وبالطبع لم تنم هيبة أتتنا ملبسها أسود حافية مهوشة الشعر جافة الشفتين .

اقتربت مني وأنا جالس وقد وضعت رأسي لأسفل خجلا من هيبة جلست هيبة بجانبي تربت على كتفي تقول ... أعلم أنك في غضب عظيم ، وستبقى في حزن مقيم ، قتلت عمك و ابن عمك ولن تنسى هذه الفعلة و أشهد وأنا ابنه عمك القتيل ، وأخت ابن عمك القتيل ، أنك مظلوم يا ابن عمي تأمرا عليك أنا فقدت أبي وأخي في لحظة واحدة يا بؤس من فقدت أباها وأخاها والقاتل ابن عمها الذي تهواه ولن تسلاه .انهارت هيبة أرضا مغشيا عليها أختي أسرعت لها.

ترش على وجه هيبة قبضات من المياه أفاقت هيبة اعتدلت جالسة نظرت لي وقالت آخر ما سمعته منها..

- ستترك الديار يا بهادر يا أحب الناس إلي سنفترق وهذا قدرنا ، وأنا أسأل الذي حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بعودة اللقاء ألقت بجذعها على صدري أبكي وتبكي أمي قالت لي في حزم ..

- يا بني يا أحب الناس إلي البكاء لن يمحو ولن يخفف من حوادث رهيبة وقعت كفانا وجيعة و معالجة ساقك يجب أن تكون سريعة ثلاثة أيام ، والرابع ترحل في حفظ الله العادل رحلت متوجها إلى بلاد الأنهار الجارية لم أستطع البقاء هناك كثيرا فقررت أن أذهب حيث ذهب من قبل الذي قتلت أباه وأخاه وشوهت وجهه إلى جبل البهاليل تركت شعري يخفي وجهي .

كنت قلقا أن يعرفني من أطلقوا عليه ذا الندبة ، لكنه لم يعرفني ولم يتصور أنني يمكن أن أكون ملاصقا له هكذا بقيت كل هذه السنين في جبل البهاليل بقيت ناكرا أصلي وفصلي، وأنا كريم الأصل عالي الفصل بقيت كل هذه السنين لا أتألم فقط من حرماني ممن أحببتها وأحبتني ، وحرماني من مستقبل مبهر كان ينتظرني وضاع مني وصار سرابا، لكن حرماني من أمي وأختي مؤلم غاية الإيلام لو تعلم ، ثم موت أمي المكلومة في زوجها وابنه ا، دون أن أكون بجوارها ، وقعه ناري جهنمي علي لو تدري .

والبقية تعلمها لكن ما لم تعلمه وعلمته أنا في المعركة الأخيرة التي وقعنا في مكيدتها أن الفارس الذي كان ضدي ، كان بحجمي تماما وأنا في سن السابعة عشرة ويا للعجب يحمل نفس ملامحي ! وما جعلني أتمعن فيه مذهولا و أنا أقاتله .. كان يرتدي القلادة ، القلادة التي أتيت بها من محجر الذهب التابع لمملكة الأنهار الجارية ..

تذكر وأنا أحكي لك عن القلادة التي قلت في وصفها.. عقد ذهبي على شكل هلال ، مرصع بالزمرد والياقوت مبهر يشعر بألوان قوس قزح تلك التي قتلت عمي وهو يرتديها ويسقط بها على صندوق الذهب ؟ ليت شعري ! كان الشاب يرتديها !

هل تعلم معنى هذا يا زعيم القبائل الثلاثة ؟ إنه ابن ابنة عمي هيبة وأيضا هو ابن الجبان حميد ! لك أن تتخيل تصاريف الزمن وسخرياته ، لقد أخذ هيئة جدي الكبير الطائي ، الذي أنا أخذت منه نفس الهيئة الفرق أنه لم يأخذ موهبة القتال الفطرية التي جاءتني ولا أعلم كيف ، وربما واتتني كما يقولون من الجن الأحمر عندما رصدت الجسد وتأملت في الملامح وتبينت القلادة ، عرفت أنه ابن حبيبتي ، ابن ابنة عمي هيبة فكيف بالله عليك اقتل ابن حبيبتي .. ابنة عمي هيبة ؟

حتى لو كان في نفس الوقت هو ابن الجبان الخسيس الرقيع حميد؟!

كيف بالله عليك ، قتلت أبا هيبة حبيبتي ، وقتلت أخاها ، فهل أقتل ابنها أيضا ؟

إن كنت قد أحببت يا عبد الرحيم ، إن كنت عشقت يا عبد الرحيم وتدلهت وتماهيت فيمن جننت بها ، كنت ستتصرف مثلي إذن، ليقتلني ابن حبيبتي ، فالعاشق لا يبالي، لكن لن أقتله أنا آآآه يا ليته كان ابني أنا. صرت وأنا المغوار بشاكر البهادري ، ليس لي ابن من صلبي ، ومن رحم من أحببتها وأحبتني . وأنا في جبل البهاليل سنين عددا ، صرت ولي ولد وبنت من امرأة أحبتني لكنها زوجة غيري. أنجب منها ولدا وبنا من صلبي ، فينسبان لرجل غيري !

وحين ينكشف أمري وأمر المرأة الحبة لي ، سيقال عن ابني إنهما أبناء حرام .

أنهى بشاكر المصاب حكايته. بكي. بشاكر الفارس العظيم، القوي كما الجلمود.. بكى. بكي بكاء طفل وليد، وجد نفسه في تيه، طفل جوعان عريان منفي شريد، عن والديه مقصي بعيد. دموعه من غزارتها إن سالت داخله أكانت تطفئ ناره التي تستعر أكثر وأكثر كل

لحظة وتقيد؟ فترة تهدأ الدموع، ويهدأ اضطراب ورعشات الصدر والبطن وهزهزة الضلوع نظر بعيدا، يحدق في الظلام. الحمى تزيد به، عبد الرحيم يضع على جبهة بشاكر قماشة مبللة بالماء لتخفف من الحمى بشاكر يخطرف .. يذكر اسم أبيه وأمه وأخته وحبيبته ابنة عمه ، لكنه ينطق بأسمين غريبين .. سامر وسامرة ؟

عبد الرحيم في صمت يتعجب من مكر الزمن وتتنوعة المحن هذا المصاب الذي أمامه، قتل عمه وابن عمه ، ولم يقتل غريمة الذي نال حبيبته ابنة عمه، ثم ترك ابن بنت عمه من غريمة تركه يصيبه تلك الإصابة التي يحتمل أن تقضي عليه وإن لم تقض عليه فسوف تطالبه بالعرج بقية حياته ثم إنه لم يحك عن هذين الاسمين الغريبين .. سامى وسامرة ثم لاحت ابتسامة خفيفة على وجه عبد الرحيم كم كان سيتألم إن اضطر لقتل ذي اللبدة بشاكر البهادري بنفسه لقد انتهى بشاكر البهادري بإصابة جاءته من غيري إذن الظروف الطيبة أزاحت من طريقه من كان سيضطر لإزاحته بنفسه يضرب عبد الرحيم كفا بكف ويقول لنفسه ..

- والله إن هذا أمرأ يسجل في الكتب ، نعم يسجل في الكتب.

مولاي شهريار، طال بي الحكي عن هذا الإنسان البطل البائس بشاكر البهادري رأينا كيف تلعب بنا الدنيا لعبا صعبا مــؤلما كيف تسخر منا فتسيل ماالدموع مـسرات و الدماء قطرات قطرات حتى تكون بحيرات مولاي الفجر يطرق قصرنا يعلمنا بأن نور النهار مقبل خلفه مساء الغد نستكمل حكايات عبد الرحيم الوسيم ذاك الرجل الغرير الخطير .

مــولاي..

الليلة التاسعة

مولاي شهريار توغلنا في حكاية عبد الرحيم الوسيم توغلنا قليلا ، فالكثير مايزال في انتظارنا وسوف تتفرع الحكاية لحكايات متواليات غريبات سـأحكي لك عن بشر أشرار.

كما العقارب السامة بشر يتبعون خطوات الشيطان الهلكة ، وأروي عن بشر كما الملائكة، طيبون ينثرون الحـب والوئام ، تماما كما نصحهم نبيهم عيسى ومحمد عليهما الصـلاة والسلام ، ألم يقل لنا عيسى إن الله محبة ؟! ألم ينصحنا محمد قائلا .. أفشوا السلام بينكم ؟! قال هذا وأكد ذاك ، لكن من يسمع ومن يعي ؟

القليل من الناس يهتدون والأكثر غاوون توقفنا في الليلة السابقة بعد أن حكى ذو اللبدة حكايته لعبد الرحيم الوسيم ، وأوصاه ألا يحكيها لأحد ، وكان قد طلب من عبد الرحيم أن يقوم بقتله ، إن لم تبرأ ساقه ويتقرر بترها، هذا ليريحه من عذاب الحمى والخطرفة ثم الموت في النهاية رفض عبد الرحيم أن يقوم بهذه الفعلة الصعبة .

عبد الرحيم وهو على قمة جبل البهاليل ، تيقن أن ذا اللبدة الذي ظهر أنه الفارس المغوار بشاكر ، تيقن أنه ميت ميت لا محالة حزين من ناحية ، فرح من ناحية أخرى حزين لأن بشاكر يستحق الحزن عليه ، وفرح لأنه سيتخلص من منافس بدأت القبائل الثلاثة تحبه وتقدره ، وسيكون بإمكانه إن أراد وأدار ، إزاحة عبد الرحيم و يجلس مكانه باقتدار صدق الشاعر المجرب حين قال .. مصائب قوم عند قوم فوائد ..

الفجر يشقشق أعلى جبل البهاليل ببضعة عصافير قليلة. عبد الرحيم ترك بشاكر ينام فيستريح من الحمى والآلام قليلا يسير أعلى جبل البهاليل .. ثلاثة من الحراس مستيقظون أقبل أحدهم إليه بوعاء من القهوة الساخنة . أخذ منه وطالبه بالبقاء مع بشاكر وأن يبدل قطعة القماش المبللة على جبهته ، هذا حتى يستيقظ خمسة عبد الرحيم يسير وحده لا

يريد الحديث مع أحد وقف على حافة الجبل من الأفق البعيد ، الشمس تطل بجبهتها على الصحراء المفروشة بالرمال الناعمة تتصاعد بمقدمة حمراء ، فبلون الدم يبدأ النهار، وبلون الدم ينتهي، والليل سواد في سواد مهما أناره قمر وكأن الله يحذرنا بكتابه المنظور ، أن دنياكم دنيا ابتلاء ، فلا تستبشروا بعمق، ولا تتفاءلوا بعمق .

من سطح جبل البهاليل ، الفضاء الهائل مايزال في غموض داكن لم ينفرج بعد مع مرور الدقائق تتكون تشكيلات مائعة خليط ما بين أسود ورمادي الوضوح يتكاثف والمعالم بين من ناحية الشمس التي صعدت بجبهتها ، انبعاثات تشكيلات تبعد السواد والرماد لتكون صفراء وحمراء بان قرص الشمس الهائل الدموي ، يتصاعد في هدوء مصر.

عبد الرحيم لم يأخذه جمال المنظر ، هذا لا يسترعي اهتمامه. لا جمال الطبيعة يستهويه ولا موسيقاها تؤثر فيه ينظر وباله سارح في حكاية بشاكر هذا الفارس الفذ يحير عقله ويقلقه ، ويفري أحشاءه .

- هل الزمن سوف يأتيه شخصيا بمأساة بمثل ما أتى به بشاكر؟

قبل أن يستعد للنزول والعودة لقبيلته، فارس يظهر من بعيد. على حصانه السريع يقترب من الجبال. يصعد بحصانه إليه، إنه شكور جاءه منذرا.. نتيجة للمعركة الخاسرة ، والتي راح فيها ستة قتلى وثمانية جرحى ، نجح أعداء وكارهو عبد الرحيم في تسخين فئة من المتضررين ، فقاموا هائجين ضد عبد الرحيم إنها غضبة قد تكون مستصغر الشرر، الـذي به تبدأ أحداث الخطر من القبائل الثلاثة أتوا ضده ، خاصة قبيلة مناعة ، التي با تنس ميل عبد الرحيم لكراعة ضدها في حادثة مقتل شاب من شبابها .

عائلات القتلى والجرحى ، يتقدمهم التلي وعلى يمينه الرماح بن مفتاح وعلى يساره الحساني. معهم عدد من الشباب والشيوخ، بل والعديد من النساء. الكل متجه ناحية سقيفة المعاهدات، حيث سيعقدون لقاء مصيرا كما يقولون ، وسيتفقون على توليه عثمان

بن ميسرة زعيما للقبائل الثلاثة كما ينوون. أسرع حصان عبد الرحيم وبجواره حصان شكور الغبار يتطاير من حوافرهما انفصل الحصانان حصان عبد الرحيم إلى قبيلته صبارة حصان شكور إلى قبيلة مناعة ليقابل عاقص عبد الرحيم تنفسه يتلاحق ويشعر بأن رمال الصحراء كلها تكدست في رئتيه أسرع ليجلس بجوار أمه يستمع لنصائحها .. هذا هو وقت الشباب المحتمل الذين أسبغت عليهم قيمة لا يستحقونها ، بمن معهم من ذوي ذقون الشيرين . هذا وقت الطماعين الذين أعطيتهم هذا وقت المنافقين الذين تناولوا من يديك الكثير هذا وقت أصهارك الذين شرفتهم بالزواج من بناتهم اجمع قوات من القبائل الثلاثة أسرع بالجموع إلى سقيفة المعاهدات، ولا تترك أعداءك المغرورين المتعالين يكتسبون مزيدا من القوى وقت الظهيرة كان موكب عبد الرحيم الوسيم الغوغائي يتجه ناحية السقيفة. إن كان مع التلي والرماح والحساني.

ما يقدر عددهم بثلاثين ما بين رجل وامرأة وشاب وطفل ، فإن الذين مع موكب عبد الرحيم الوسيم ما يقدرون بثلاثة أضعاف ما جمعهم التلي ومن معه وإن وازنا الجمعين بهة الحماسة ، فإن الذين مع عبد الرحيم ، يقدرون بخمسة أضعاف ذاهبون مشاة وركبانا على ظهور الجمال والخيل ، وعبد الرحيم الوسيم لهم ربان ، تصاحبهم الدفوف يغنون ويهتفون للوسيم الذي أغناهم من بعد فقر وأواهم من بعد شرد وبعثرة وجمعهم من بعد فقد وبحترة الهمل غوغائيتهم مذهلة.

ليسوا من الشباب الصغير فقط ، فيهم الشباب الناضج سنا ! والرجال من متوسطي الأعمار، بل وبعض كبار السن ! منهم من يتحمس بدعوى الولاء والاتحاد للقبائل الثلاثة . بين تلك الهوجة الهوجاء ، الشحات ابن واحة النخيل ومعه اثنان من الشباب أقنعهما بفكر بعرور ، وأن الولاء يكون لجماعة ذقون الشبرين ، وليس لواحتهما واحة النخيل فانضما له وصار هو قدوتهما الشيخ المفتي بعرور وأتباعه من أصحاب لحي الشبرين والشباب الهمل

ثائرون ضد الثائرين على الزعيم عبد الرحيم الوسيم حجتهم أن الخروج على الزعيم خـروج على الولي ، و هذا يعتبر كـسرا للشرع وحتى مع افتراض أن الزعيم الحاكم متهور ظالم فحجتهم اللامعة ..

- حاكم غشوم ، خير من فتنة قد تدوم .

الهمل هم كل من خف عقله وتعمق جهله ، وينضم إليهم كل من ثقل طمعه ومر طعمه سواء كان حليق اللحية أو ذا لحية عادية ، أو كان من ذوي لحي الشبرين ترباس الخناس أقسم أنه ات بزوجته وأخته وأطفالهما ، فتشجع بعض أتباع الوسيم وأتوا بنسائهم وأطفالهم ، والفتيات اللاتي وقعن في شهوات بهرجة التزين ، تحمسن للخروج تأييدا للزعيم. وسط النساء كانت امرأة لثغاء تهتف ، متحمسة حماسا مشتعلا .

بالفتيات و النساء وبأطفالهن ، زاد جمع الهتافات والهيافات وثقلت سخافاتهم انضمت هذه الإضافات للجمع الأخرق ، فتورمت مسيرة الخرقاء ، وقد قال شاعر عظيم وهو المتنبي ، في مثل هذا السقم الذنيم ... ولا تحسبن الشحم فيمن شحمه ورم يتواجد مع الجمع الغوغائي عز البادية زعيم كراعة وعبدان زعيم مناعة ومعهما العديد من الأتباع لكنهم لا يدخلون وسطهم إعزازا بمكانتهم فقيادة الجمع الغوغائي ليست لأحد منهم بل القيادة للفارس عاقص ، والفارس عاقص تافه تابع ذليل ، ثقله في الأخلاق قليل .

عاقص لكل ما هو في صالح عبد الرحيم الوسيم مؤيد، وفي كل ما هو ضد الزعيم معاكس عاقص على فرسه في وسط الحشد موجود ، وعبد الرحيم على فرسه في المقدمة ، ودائما حوله الشاب المتحمس له صفوان بن اللثغاء .

الحشد هائج يهزج ويضرب بالدفوف ويصفق بالكفوف الهمل حاصروا السقيفة وعلوا أصواتهم والهتافات سخروا من أصحاب العقول و الأفكار الهاديات ، وشوشروا على الكلمات الراقيات ثم دخلوا السقيفة وهم حاملين الوسيم على الأكتاف.

لم تسعهم فصار أغلبهم خارجها يزيطون ويقهقهون ويزغردون ! لماذا كل هذا ؟

ليغيظوا الثائرين ضد جبروت الزعيم الطاغية ، ويبخسوا حق الثائرين في قولهم لا ، وفشلوا هبتهم الصادقة بغمغمات وبغبغات نعم حزب ذقون الشبرين حملوا الشيخ بعرور على أكتافهم ، فخطب خطبة نارية مفترية أعلن أن كل من يتقول ذما في العبدين الرحيمين، عبد الرحيم السبع وعبد الرحيم الوسيم ، فكأنه كفر.

فكل منهما هو خليفة الله في أرضه يحكم ويدير شئون العباد ولا يمكن خلع حاكم من ثوب وهبه الله له وأن كل عصيان على ولي الأمر هو هوجة عصيان ضد من أختاره الله ليحكم أي أن المعارضين يعارضون مشيئة الله سبحانه وتعالى يستمر الشيخ بعرور في خطبته النارية .. إن ما حدث، لهو فتنة لو تعلمون، وآه لو تعلمون عقابها من الله شديد العقاب ؟!

ألقى الكثير من الآيات القرآنية الكريمة، وشرحها بما لا ينسجم مع مقاصدها. وأيد الآيات بأحاديث ملفقة للرسول الكريم وكلما صمت اللسان لحظة ليأخذ الشيخ نفسا ، ترتفع أصوات من أعلى الذقون الشبرين وأسفل الشوارب الحليقة لتصيح..

- الله. الله. أفحمهم يا مولانا.

الوسيم محمول على كتف شاب سمين كجاموسة من جواميس المدن، صار أعلى من كل من في وسط باحة السقيفة عبد الرحيم سعيد بحشده الثقيل مستخف بتجمعات المعارضين الخفيفة بعد خطبة بعرور أخذ عبد الرحيم يخطب في الجمع .. يذكرهم بأنه أتى لهم بالخير الوفير لم يعد أحد يفتقد جلبابا نظيفا ، لم يعد أحد يشتهي اللحم ولا يجده. لم يعد أحد يبات في خيمة مظلمة فالشموع متوفرة .

الفتيات يختلن في أثواب مزهزهة الرجال في جلابيب بيضاء ومخططة زاهية وعمائم مزهرة. المصاغ الذهبي بدا من بعد خفا ثم قال إنه قرر قطعة ذهبية لكل أسرة قتيل

وقطعتين فضيتين لكل مصاب وأن لا أسرة من أسر القتلى والمصابين سوف تحتاج مستقبلا لأي شيء إلا وعليه هو شخصيا أن يأتي به حتى خيمتهم وكلام وكلام وكلام ووعود ووعود ووعود وبهذا كسر الباطل عين الحق .

التلي والرماح بن مفتاح ، والحساني ومن معهم في ضيق عميق ليس فقط من عبد الرحيم الوسيم وعاقص و ترباس والناس الهمل ، والشيخ المفتي بعرور وأتباعه همل لحي الشبرين بل من أهل قبائلهم الصاغرين غير الواعين لمن يقودهم للضياع المبين وقيل عنهم القاعدون ، فهم في أي معترك لا يتقدم أحدهم ويشترك فقط يبقى مقعيا على مؤخرته ، ناظرا وهو غير ناظر متابعا يأبه جانبا منه وجانب غير آبه ، فإن كسب هذا فليكسب وأكون في مأمن منه ، وإن خسر هذا ينأي عنه ولن يتحركوا إلا إذا وقعت على رؤوسهم الواقعة إنهم حزب من قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس احسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن و طنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا ».

آآآه، وكم من رسول دعا ربه أن يسامح قومه الضالين فهم لا يعلمون ؟ وحين اتجه عبد الرحيم الوسيم للخروج محمولا خارج السقيفة ، ترك أعلى كتفي جاموسته واعتلى حصانه تبعه كل من أتوا في موكبه ، وأيضا الحق بهم أغلب من أتوا مع التلي ورفاقه !

حتى عائلات القتلى والجرحى ، أغلبهم سار عائدا خلف حشد عبد الرحيم الوسيم وسائره فالإغراء الـذهبي الفضي عـمل عمايله في هذه الانتفاضة الفاشلة ظهر أمر ظهر ظهور شمس الظهيرة ، التلي ، ذلك الفارس المجيد ، صحته معتلة وجهه ليس بالنضارة المعهودة وقوى عينيه المعروفة مفقودة .

سأله المقربون منه ، لكنه أبي أن يعترف بمرضه ، فقط قال إنها وعكة عابرة ، عبور سحب الصيف في سماء فيافيهم نادرة السحب في الصباح التالي ، كان الفارس عاقص عند

عـبد الرحيم ، يؤكد له أن التلي بالفعل مريض مرضا ليس بالهين عاقص أتى على ظهر حصانه ورغم ذلك ينهج وكأنه أتى عدوا على ساقيه ! ابتسم عبد الرحيم وقال ..

- العقبي تكون عند الحساني إن شاء الله ، لكن يا عاقص ، الشحم يزحف فوق لحمك أحترس ، إن زاد وزنك لن تكون فارسا ، بل مجرد خروف سمين ليلا ، عـبد الرحيم يحتفل بانتصاره في خيمة أمة النبيلة مستلق وهي جالسة بجانبه ، وعلى بعد خطوتين تجلس سلمي يتسامران في هدوء و يسترجعان ما كان.

يبين عبد الرحيم لأمه لومه على قريبها القراء ؛ القراء وهو يعتبر خالا له، فكيف يبدو علنا عدم رضاه. النبيلة تهدي ابنها على قريبها، تؤكد له أنه مهما كان خاله، ولن يكون ضده بالصدام المشهود فجأة شبح يدخل عليهم تصرخ سلمي وتفزع النبيلة ويقف سريعا عبد الرحيم ممسكا بمقبض خنجره الشبح تكلم ...

- لم الفزع ؟ أنا أم صفوان. لعنتها النبيلة وجلس عبد الرحيم وقد هدأ توتره .

- ما الذي أتى بك في هذه الساعة يا أمرأة؟ ومن أنت؟

- أنا اللثغاء التي تناديك بيا عبد اللحيم.

ضحك عبد الرحيم وطالبها بالجلوس فجلسته. سألها ..

- أنت أم صفوان ؟

- ابنك صفوان .

تارث النبيلة ولعنتها ونعتتها بأنها عاهرة وهددتها، إن كررت ، محاولتها بإلصاق ابنها بعبد الرحيم لكن اللثغاء أكدت أنها لا تريد أن تربط ابنها رسميا بعبد الرحيم ، لكنها تطالب عبد الرحيم بأن يراعي صفوان ، لا أكثر ووعدت بأنها لن تفتح فمها بكلمة عن علاقتها بعبد الرحيم وعدها عبد الرحيم خيرا، وأكد أنه معجب بصفوان ، لكن إن حاول صفوان ربط بنوته به ، فسوف يطيح به.

النبيلة طالبت ابنها بأن يجعل له حرسا، فاغتياله سهل مع كثرة كارهيه ومنافسية ، وعدم تواجد من يحميه ليلا ونهارا اقتنع عبد الرحيم وقرر أن تكون على خيمته حراسة طوال الليل ، وأن يكون المسئول عن حراسته هو صفوان ابن اللثغاء .

هذا ما كان من عبد الرحيم الوسيم ، فماذا في سلسال أحداث الذي كان ذا اللبدة قائد البهاليل ، ثم تبين لنا أنه بشاكر السقيم و الذي كان أيضا المغوارر الهميم ؟

النهار بطوله خمسة يحوم حول ذي اللبدة النائم محموما، يبدل على جبينه قطعة القماش المبللة بالماء ، ليخفف المحمي التي تضرب وتهرب.

وحين يجده يفيق ، يسقيه مشروبات مهدئة ومنومة. يميله جانبا ليساعده على التبول في وعاء. يمسح جسد بشاكر وينظفه وينثر قطرات مياه على شعره ورأسه .

يستمر في وضع كمادات قطعة القماش المبللة بالماء. ذو الندبة يأتي ليتابع هو وغيره وينصرفون ثم يأتي الليل التالي ، ويبقى خمسة مع صديقه المصاب حتى الصباح في هذا الصباح حدث أمر مستجد وله العجب ولا الصيام في رجب .. الشاب الذي كان خصمه في المكيدة ، و الذي أصابه بضربة سيف في فخذه ، أتي ومعه شاب آخر ليعودا ذا اللبدة ويطمئنا عليه ! صاعدان للجبل ، صيحة التحذير.. من أنتما ؟

- جئنا لنعودا الفارس المغوار بشاكر ؟

- من ؟!

- الفارس المغوار بشاكر .

- ماذا ؟! ومن قال لكما يا منحوسين إن بشاكر المغوار يقيم في مثل هذا المكان ؟!

- هو هنا .

- مخبولان من أنتما ؟

- دعونا نصعد وستعرف صعدا فإذا بعشرة من فرسان البهاليل يحيطون بهما أحدهم تبين وجه الشاب الجسيم فصاح ..

- هذا هو الذي أصاب كبيرنا ذي اللبدة في ساقه رفعوا سيوفهم فرفع الشابان سيفيهما وهما يقولان إنهما من أقارب المغوار البهادري ، لكن لا أحد يفهم طلبهما ، ولا أحد يسمع فهم في غيظ وغل مبين هجموا عليهما فوجدا أن الشابين فأرسين صنديدين مبارزات سريعة الشاب الضخم يصيح ..

- لا أريد أن أصيب أحدكم أنا ابن أخت المغوار أنا ابن أخت بشاكر أوجدوني أمامه وسترون توقف القتال ليتبينوا ما معنى هذا الكلام الغريب .

- ليس عندنا أحد بهذا الاسم ، صارحونا ، لماذا صعدتما جبلنا ؟

- إنه ذو الشعر الكثيف ، فارسكم . قائدكم.

حدثت خلخلة وهدوء متوتر من العشرة البهاليل لكن لم يصدقوا ، هل كبيرهم ذو اللبدة هو الفارس ذائع الصيت بشاكر البهادري؟!

لا يمكن. وقبل أن يهجموا على الشابين الكاذبين، صياح قوي من غرفة ذي اللبدة. نظروا.. ذو اللبدة يقف مستندا على باب حجرته. يصيح..

- اتركوهما. أتركوهما. أتوا بهما لي .

التعب أصابه فارتخي جسده لولا أن خمسة كان قد أسرع إليه من بداية صيحته فأمسكه من تحت إبطه، وعاد به لمرقده دخل الشابان حجرة المغوار ذو اللبدة راقد وظهره مرفوع قليلا على وسادة يرقب الداخلين ويتمعن فيهما يتعجل المعرفة فرسان البهائيل خلفهما وخمسة بجوار المغوار بشاكر ذو الندبة من الجنب يتابع حائرا متوترا ثائرا يتمعن في وجه ذي اللبدة ووجه الشاب الجسيم خاصة . جلس الشاب الجسيم على ركبتيه بجوار ذي اللبدة ينظر له وينظر له ذو اللبدة فجأة بكى الشاب وهبط برأسه وأمسك بيد ذي اللبدة

و قبلها عدة مرات وهو يبكي ذو اللبدة بيده الأخرى يربت على ممطرة الشاب ليهون عليه الشاب قال بصوت عال..

- أعلم أنك كنت تستطيع قتلي بسهولة اعذرني يا خالي ، فأنا لم أتبين وجهك المختبئ خلف كل هذا الشعر! خاله يربت على رأسه ليهدأ هدأ واعتدل قال الشاب الجسيم ...

- لا تتبين ملامحي يا خالي ؟

- بل أتبين عينا أختي خنس وسماحتها الكل تركوا الحجرة لمن نادوه سنوات طوال باسم ذي اللبدة ثم تبينوا من دقائق أنه المغوار بشاكر الشابان أحدهما هو ابن أخته بالفعل ابن خنس واسمه سامح بن الوسيل والثاني ابن ابنة عمه حبيبته ابنة عمه هيبة التي حرم منها. اسمه عزيز بن عميد. حكيا له ما كان بعد قتله العمه وابن عمه. بدأ عزيز فقال..

- يا فارس الفوارس يا خالي ، فأنت ابن عم أمي هيبة. أمي هيبة لم تنساك مطلا ولن تنساك أبدا أقول هذا ولا أخجل، فأمي أحبتك أنت وأنت من أحببتها ، وكنتما مزمتان على الزواج على سنة الله ورسوله، لولا خباثة جدي الذي قتلته هو وخالي ميهوب. رغم آلام أمي من مقتل أبيها وأخيها فإنها لا تلومك، فأي شاب حر يعشق عشقا ساميا وتم خداعه بمكر حقير ، ويحاول حساده إذلاله وهو الأبي مجبر على أن يفعل ما فعلت لا لوم عليك ، اللوم على من تسببوا في ثورتك .

فقد ظلموك وتعمدوا إهانتك يا فارس الفوارس أمي لم تسامحك فقط، بل وتدعو لك بالوقاية من أي بلاء وتفادي كل عناء أما بالنسبة لأبي حميد ، فهو عائش في ذل، الكل لا يحترمه ، فهو أثبت يوم المقتلة أنه جبان وأنا لولا أنه أبي ، وعلي أن أحترمه وأقدره كما أمرنا الله ورسوله لما كنت سأحترمه ولا أقدره أنا أقدرك أنت يا بشاكر بن عدي سمعت عنك الكثير و القبيلة تلوم نفسها على سلبيتها كان يجب عليها حمايتك من ملاعيب جدي سليمان ، وثعالبية خالي ميهوب لكن قدر الله وما شاء فعل .

صمت عزيز بن حميد ابن ابنة عمه، ليتكلم سامح بن الوسيل ، ابن أخته خنس..

- خالي ومثلي الأعلى الكنز الذي أتانا بمقدرتك أنت وتخطيطك أنت بدلا من كونه نعمة صار نقمة ، فقد تعودت القبيلة على المال الذي أتاها دون عناء ، فتركت الجهد الشاق في الرعي والعمل البناء في التجارة ، وعاما بعد عام ذاب الكنز بعنا ذهبنا وفضتنا مضطرين لنعيش ، أمي أصرت على بقاء تلك القلادة في عنقي ، فهي رمز الآن نحن من بعد مشاورات مع ملك مملكة الأنهار الجارية ، صرنا حراس على قوافله مقابل مبلغ سنوي بسيط ولم نكن نعرف أن هذا العمل المهين ، سوف يجعلنا نعادي فارسنا الذي نفتخر به

وصار أسطورة لنا ... المغوار بشاكر بن عدي ناير الطامي البهادري لكنا قررنا الانسحاب من هذا العمل ، وسنعود للرعي وبعض التجارة لنعيد سمعة قبيلتنا الكبيرة ، قبيلة البهادرية. جاء خمسة ليطمئن ويلبي أي طلب لهم ، طلب منه بشاكر أن يحلق له شعره ويشذب له ذقنه وشاربه دهشة سريعة من خمسة، ثم أسرع وأتي بالمقص والموسي وبشاكر يتحدث إلى ابني أختيه ، خمسة يقص له شعر رأسه وذقنه ، ثم حلق بقية الذقن انتهى خمسة الذي نظر لوجه من كان ذا اللبدة ، تعجب من وسامته الرجولية رغم تقدمه في السن مرآة ينظر فيها بشاكر يتعجب .. وسامته ظهرت بعد أن اختبأت سنوات طويلة نظر للشاب سامح خنس قال سامح ابن خنس ...

- إن عزيز يشبهك تماما.

ابتسم بشاكر مصححا لسامح ..

- بل نحن الاثنين نشبه جدنا الطامي .

بعد ساعة من الحوار ، أتي خمسة بعشاء دسم لثلاثتهم ، يتوقع أن يقبل المغوار بشاكر على الطعام ، فكبده ترطب بوصول ابن أخته وابن حبيبته ابنة عمة بشاكر تحت ضغط وإلحاح خمسة ابتلع لقمتين بالعدد تجرع من الوعاء جرعات من الماء ، ابتسم واستلقي

على ظهره يتابعهما وهما يأكلان ، الحب والشوق انبعاثات طيبة تصدر من قلبه إليهما طلـب منهما أن يغادرا بسرعة عليهما أن يعودا ويعبر بطحاء الخمساوي قبل الليل يخشى عليهما وهما فارسان صنديدان! إنها عاطفة الأبوة. سأل كيف عرفتما مكاني؟

قالا إن غريبا أتى على حصانه الأطراف مراعي القبيلة وانفرد بصبي صغير يرعى بضع عنزات ، أبلغة بمكان تواجدك ثم أسرع عائدا على حصانه الجهد واختفي!

سرح بهادر قليلا وهو ينظر لسقف الغرفة .

ابتسم ابتسامة سخرية لا تحمل غضبا لم يعرف مخلوق سه سوى عبد الرحيم الوسيم إذن عبد الرحيم الوسيم هو من أرسل لقبيلته هل عبد الرحيم كان يقصد خيرا به أم غير ذلك ؟ سألا إن كان بإمكانه الرحيل معهما إلى مضارب القبيلة ؟

يسألان وهما يعلمان أن حالته لا تسمح بالسفر لنصف فرسخ واحد ، أكد لهما أنه طوال تواجده في جبل البهاليل لم يظلم إنسانا ، ولم ينتزع شروى نقير من فقير ، ولم يغتصب امرأة ، ولم يفتر على أي إنسان ، وأنه حافظ على شرف القبيلة طلب بشاكر البهادري من الشابين أن يؤكدا ذلك للقبيلة ، فسيرته يجب أن تكون نقية يفخر بها كل أفراد القبيلة ثم أصر بهادر أن يترك الشابان الجبل سريع ا ، لا يريدهما أن يشاهداه وهو يتألم من جرحه ، ولا أن يبقيا حتى يشاهداه في سكرات الموت .

بكوا ثلاثتهم في وداع صعب ، يعرفون أن ثلاثتهم لن يلتقوا بعد هذا اللقاء اليتيم فالمغوار ميت ميت لا محالة ، في الليل الساكن المظلم كان خمسة نائما في فرشة خشنة ، بجوار المغوار بشاكر الذي يدعي النوم ، أتى ذو الندبة بشمعة. أيقظ خمسة وطلب منه أن يذهب لحجرته ويستريح، وأنه أي ذو الندبة سيبقى بجوار المغوار بشاكر.

رفض خمسة بإصرار، لكن بشاكر، رفع جفنيه وطلب من خمسة أن يذهب ، فمن حق ذي الندبة أن يقوم ببعض الواجب تجاهه وافق خمسة مضطرا وذهب أشعل ذو الندبة

المصباح الصغير وأطفأ الشمعة جلس ينظر إلى وجه بشاكر الحليق بشاكر نظر لذي الندبة وقـال..

- عرفتني يا ذا الندبة ؟

- ابن أختك وابن ابنة عمك فضحا سرك .

- جئتني لتبعد خمسة لتبقى معي وحدك ، وتأخذ بثارك مني ؟

- فعلا. هذا ما يسعدني أن أفعله أيها الخبيث .

- خذ ثأرك لكن لا تكرهني . فأنا طوال عشرتنا لم أكرهك.

- لا شأن لنا بالكره والحب .كتب القتل والثأر علينا، وعلى الغانيات جر الذيول.

- صحيح .

- بشاكر ، مأساتي ومأساة أسرتي بسببك . جندلت أبي وأخي وشطرت خدي. وقتها ، وقت تلك المعركة البائسة ، ألم تلحظ كيف كنت أجري مسرعا بين أبي وأخي وأنا أمسك خد ي؟ ألم تحس بمدي حسرتي بينهما ؟

ألم تفهم أن نصف خدي إن رفعت كفي الممسكة به ، كان سيتدلى ليصل لذقني كاشا خشمي وجانب عظام فكي وأسناني؟

يا من كنت ذا! اللبدة، وأنت بشاكر ، يومها لم تقتلني بناء على رجاءات وتوسلات أبي؟ أم كنت قد قررت أن تنتقم مني بتشويهي وتعذيب أبي وهو يشاهد ما تفعله بي أم قررت تركي مشوها حتى أبقى طوال حياتي مذلولا بما فعلته بأبي وأخي وبخدي ؟

- وقتها كنت ممرورا من مقتل أبي وفرسانه بمكيدة أخيك الخسيسة .

- والآن أنا ممرور من قتلك لأبي وأخي وتشويهك لي آن لي أن أقتلك لكن .. لم كنت تدافع عني في المعارك؟ لم كنت تحرص على سلامتي حين يشتد الوعي ؟

لم كنت حين أحكي لك عن مأساتي ، وتسمع أنيني من الذي قتل أبي وأخي وشوهني تسمعني وتصبرني بكلماتك الطيبة ؟

وأنا الغبي أحكي لك ولا أعلم أني أحكي لقاتل أبي وأخي ومشوه وجنتي ؟

كنت تسخر مني ، وأنا العبيط المتخلف أعيش تحت رعايتك، بل وأحكي لك حكاية مأساتي ومأساة أسرتي !

- كنت أكرهك أنت و عائلتك وقت مقتل أبي ، بعد أن أخذت بثأري لم أعد أكرهك ، بل حقيقة أميل إليك .

- إذن سأكون طيبا مثلك ، سوف أقتلك و بعدها سوف أترك كرهك و أميل إليك وأنت في عداد الأموات .

- هاها . لم تكن ساخرا من قبل يا صديقي.

- أتريد بعطفك هذا أن أسامحك ؟. لا .

- أم لتزيد في إهانتي ؟

- لا .

- سأقتلك .

- أسرع ، فالحمى لن تتركني ، وآلام ساقي لا تتخيلها . ثم إنني قد مللت من الحياة وأريد أن أستريح .

- تعلم أنني لو قتلتك سوف يقتلونني ، خاصة خمسة ، لن يتركني .

- لن يعلم أحد .

- كيف ؟

- سوف تطعنني بخنجرك ، لكن لا تنزعه من قلبي حتى لا تسيل الدماء من الجرح وقبل الفجر انتزع الخنجر ستكون دمائي قد تجلطت امسح مكان الطعنة فقط ثم أعلن خبر موتي .

- سيعرفون عند غسلك .

- لا . أنا قلت لخمسة ، إن الذي سيغسلني واحد فقط ، هو ذو الندبة .

- خططت حتى لهذا ؟ يا لك من رجل عجيب.

- ما اسمك ؟

- لم أعلنه أبدا ، فأنا فشلت في أخذ ثأر أبي وأخي، وأذيت فتاة فكان هذا عارا إضافيا . - قبل أن أموت ، أريد أن أعرف .. اسمك.

- عاصي.

- يا عاصي ، لي عندك طلب ورجاء ، بعد أن تقتلني عليك تنفيذهما.

- ما هما ؟

- عدني أن تنفذهما .

- كيف وأنا لا أعرف ما هما ؟!

- إن كان في استطاعتك تنفذهميا نفذهما من أجل عشرتي الطويلة معك .

افعله رحمة لوالدك وأخيك القتيلين.

- قل.

- الطلب بسيط ، عبد الرحيم ، وأعرف أنك تحترمه كثيرا ، حين تنفرد به أبلغه بأن بهادر عرف أنك قمت بما كان يجب أن تقوم به. وأنه مات وهو راض عنك .

- هذا طلب بسيط . وما هو الرجاء ؟

- في زاوية حجرتي التي خلفي على يميني ، احفر قليلا ، ستجد كيا به بضعة دنانير ذهب وفضة . هذا ما ادخرته لولدي.

- ألك أولاد ؟

- فتى اسمه سامر . وفتاة اسمها سامرة.

- في قبيلتك البهادرية ؟

- لا في قبيلة كراعة . أمهما مشهورة باسم بلانة .

في الصباح الباكر بكي الجمع ، حين أعلن ذو الندبة موت المغوار بشاكر بعد صراع مع الحمى طال به غسله ذو الندبة وحده حسب وصية بشاكر دفنوه على جانب من الجبل ولحق عبد الرحيم والتلي مراسم الدفن مع غيرهما من القبائل الثلاثة ، التلي الذي فقد بعضا من وزنه ، بكا بكاء مرا ، وشارك في وضع جثمان بشاكر في لحده لم يسمعه أحد وهو يناجي معلمة حرفية القتال..

- كنت أنتظر أن أموت قبلك يا معلمي العظيم. لكن، سألحق بك عما قريبا .

حين انفرد ذو الندبة بعبد الرحيم الوسيم، أبلغه بما طلب منه بشاكر أن يبلغه. ابتسم عبد الرحيم راضيا خمسة هو الوحيد الذي لم يبتلع ولم يضم أن يقوم ذو الندبة وحده بتغسيل جثمان بشاكر ، ثم انضم له عبد الرحيم الوسيم بعد أن جاء هم ليقوم بواجب العزاء لكن لم ينفضح مقتل بشاكر بطعنة ذي الندبة ، إلا بعد وقت ليس بالطويل .

موت ذي اللبدة كان وقعه ثقيلا عند القبائل الثلاثة، فهو لم يضرهم في شيء، بل نفعهم كثير ا، ثم إن حكايته وانكشاف أن اسمه بشاكر وأنه فارس عظيم ، لدرجة أنه معلم الفارس التلي ! فهذا زاد من إعجاب الناس به وترحمهم عليه حزن الفارس التلي حزينا عميقا، وعيط عليه عياط ثقيلا، ولام نفسه لوما حارقا ، كيف لم يهتم بذي اللبدة ؟

وكيف حين سمع به وعن جسامة جسده وشجاعته وبراعته ، لم يتوقع أنه معلمة المغوار بشاكر؟؟

المفاجأة كانت في قبيلة كراعة، فالمرأة الخبلانة بشيخ الولد هاجت وماجت حين سمعت بالخبر، أغشي عليها وكلما تفيق وتتبين أن ذا اللبدة مات، تعود فيغشى عليها عرف الناس أنها كانت تذهب لمقام شيخ الولد ، المقابلة ذي اللبدة ! وعرفوا لماذا ابنها سامر وابنتها سارة بهذا الجسد الطويل العريض والوجه الوسيم ، بعكس زوجها وكل عائلته وعائلتها ! عائلة خبلانة كانت في خجل مما انكشف وبان ، عار عليها أن امرأة منهم كانت عاشقة وزنت وأنجبت ، والغريب أن خبلانة بعد أسابيع مرت عليها ما بين بكاء وإغماء ، بقيت ساكنة هادئة ، جالسة أمام خيمتها تنظر ناحية الصحراء ، أكلها قليل وشربها قليل وفي صباح يوم ابنتها جاءت لها بطعام ، لم تجدها، ولم يجدوا الجمل ، في سرعة ركب شباب ورجال العائلة جمالهم وأسرعوا ناحية شيخ الولد الجمال تسرع وكأنها في رحلة وهم على أسنامها الرجراجة مضطربون ، ينظرون هنا وهناك باحثين عن خبلانة من بعيد على امتداد الأفق الأصفر الصحراوي ، ظهرت مسحة من لون أصفر غامق ، تحول للون بني فاتح ، أطلالى مقام شيخ الولد بدأت تظهر ، أعالى الأعمدة والأسوار المهدمة ، وبينها قمة الدائرية الصخرية الطويلة ، حيث التمثال الذكري العاري بعضوه المنتصب المهيدبا دخلوا بين الأطلال و انتشروا يبحثون وجظدوها بجوار الجمل جدار طويل يحمل نقوشا تليدة لا يفهمون منها شيئا ظل الجدار نحيل. الجمل بارك يجعتر في هدوء، وخبلانة مستلقية بين الجمل والجدار في هدوء الجمل حتى عنقه الطويل السميك ، ووجهة الغريب ينظر بعينيه الجاحظتين الناعستين من أتوا ، وخبلانة نائمة على جانبها ، جلبابها مرفوع لما فوق وسطها ، وليس تحت جلبابها سوى جسدها وحبات رمال انتترت أعلى جانب مؤخرتها ، ظهرها يلامس الجدار ويديها ممتدان ، يد منبسطة على الرمال ، ويد منحنية و كأنها تحتضن

شخصا ما ملامحها منبسطة فرحة شفتاها مضمومتان في حال تقبيل عيناها مفتوحتان سعيدتان .. وهي ميتة وبهذا انتهت حياة أمرأة غلبانة تعبانةلكنها تحت حكم البشر الظلمة تعرضت لمن يتقولون عليها مستكبرين لاعنين ، نـــــاسين أن غلبها وضياعها و حسراتها ليس منها ، بل من الذين حاصروها و كبتوها فتسببوا في خبالها ، آه من ظلم المرأة في بلادنا .. نستكمل غدا مسيرة عبد الرحيم الوسيم .

مــولاي..

الليلة العاشرة

إي ي يه يا شهريا الملك يقول ربنا العظيم ، إن مـع العسر يسرا ، هذا بالنسبة للطيبين المسالمين يا مـولاي ، لكني أظن وبعض الظن إثم وبعضه صحيح ، بالنسبة للشريرين ، فإن مـع يسرهم الفاسـد عسر سوف يضنيهم و هذا ما سنتبينه في استكمالنا لصعود نجم عبد الرحيم، ثم أفوله على مدى ليال تصل للمائة. اسمع يا مـولاي..

بعد الغزوات الناجحات التي قام بها عبد الرحيم واستدرج معه من كان يقال عنه ذو اللبدة ، واتضح أنه الفارس المغوار بشاكر البهادري ، هما ومعهما عشرات من فرسان القبائل والبهاليل ، وقعوا في الكمين ، وانهزموا جميعا هزيمة واضحة فاضحة ، فقال المنافقون إنها ليست هزيمة ، بل مجرد نكسة ، وسواء كانت هزيمة أو نكسة، فقد تسببت في هوجة أولى ضده وضد معاونيه ومنافقيه ، مناحات انتصبت في القبائل الثلاثة .

الأمهات الثاكلات باكيات لاطمات خدودهن ، حاثات الرمال على شعرهن العاري لاعنات عـبد الرحيم الوسيم واليوم الذي تربع على زعامة القبائل الهزيمة أحدثت في الناس قلقا وهزة وأزاحت شعور العزة التي أحاطتهم ، ورانت عليهم أحاسيس الخسة ، أقلقت ما كانوا فيه من أحلام ظهيرة وخيالات لذة ورغم فشل الانتفاضة الأولى التي ثارت ضد عبد الرحيم الوسيم ، فإن الهزيمة دفعت البعض للتفكر والتذكر فيما حدث في تاريخهم بالفعل ما حدث حقيقة وليس ما تناوله البكاشون من الرواة والشعراء المرتشين ، التابعين للزعماء الراشين ، من زيادات هنا وإنقاص هناك تباهيا ومراء من تفكروا وقدروا ذكروهم بما يقوله حكيم الواحة عبد الحكيم ، إن سيرة عبد الرحيم السبع لم تحك كاملة ، ولم ترو صادقة ، وإن نهايتها وبيلة بعدما كانت بدايتها جميلة .

سيرة عبد الرحيم السبع في سنواتها الأول كسبت القبائل الفضة و الذهب وفي نهايتها خسرت كل ما اكتسبته وذهب ، ثم خسرت مئات من رجالها ونسائها وأطفالها ، حين أتت جيوش مملكة الأنهار الجارية ، ومعهم حلفاؤهم من قبائل شرق الخمساوي ، ففتكوا بهم جميعا وتجرعوا الحر وصار حالنا لا يسر .

القلق من الهزيمة أتعب عبد الرحيم الوسيم وأتباعه ، صار حالهم هم والبهاليل لمقتل فارسهم في غم رفض البهاليل دعوة عبد الرحيمه لعمل غزوة سريعة على قافلة من قوافل مملكة الأنهار الجارية ، السبب أنهم لم يستقروا على زعيم يتولى قيادتهم ذهب إليهم عبد الرحيم بنفسه بات عندهم ليلتين ، ووافقوا أخيرا أن يكون الزعيم الجديد هو ذا الندبة ثم اتفقوا بعد ثلاثة أيام أن يستعدوا لغزوة جديدة وعد بن الواعد انفرد بعبد الرحيم ، بعده عن القبيلة ، ومحبسه في جبل البهاليل لا يناسبه كشاعر ، ولا يناسب دعد دعد نفسها تعبت . وعد يرجو عبد الرحيم الوسيم أن يعيدهما لمضارب لقبيلة .

الزرقاء زوجة عبد الرحيم الأولى ، مات أبوها عبدان زعيم قبيلة مناعة ، وتولى الزعامة أخوه سعدان ، فزادت متاعبها النفسية ، وبدلا من أن تلين وتجلب العطف و الشفقة تجبرت تلك الحمقاء أكثر وصارت متعالية أكثر، مشاكلها تفاقمت فتراكمت عليها المحن وتكالب عليها كل من حولها .

عبد الرحيم الوسيم ، مل مللا من زرقاء و غبائها وتكبرها الواهي لم يعد يطيق النظر إليها ولم يعد يعتبر جسدها جسدا شها ، أو حتى جسدا أنثويا بعد موت حميه عبدان كلما ضايقته زرقاء ضربها ، فلا وقت عنده ولا رغبة في إقامة حوار معها ، لا طاقة له بسماع حماقاتها وفي نفس الوقت لم يعد يخشى غضب أبيها عبدان لذي يستطيع إحداث قلاقل لزعامته في قبيلته مناعة ، فعبدان قد مات ، وسعدان أخوه علاقته ليست طيبة بزرقاء فزرقاء من حماقتها كانت تتعالى على بناته عندما كانت فتاة صغيرة وبناته صغيرات عبد

الرحيم مرة ضاق بنكدها وقرر تصعيد مشاكله معها لتلتهب ويتخلص منها فضربها بقسوة حتى نزفت من أنفها وفمها ، لعنته فانصدم ، كيف تلعنه امرأة ؟!

كيف تلعنه زوجته ؟!

فطلقها واستراح من همها كما ظن وقتها ، وأصر أن يبقى معه ابنه الأكبر عبد الجبار وابنته النبيلة الثانية ، وللزرقاء أن تأخذ معها ابنها الأصغر عبد الودود ليعيش معها وقتا في قبيلتها مناعة عارضته أمه ، قالت إن النبيلة الثانية ما تزال صغيرة ، ولن تستطيع العيش بدون أمها ، وهذا كلام حق ، لكن به جانب خبيث، النبيلة الكبيرة لا تستريح للنبيلة الثانية ، بل بدأت تغار منها للحب الكبير الذي يكنه عبد الرحيم لهذه الطفلة أيام كئيبة على نفس عبد الرحيم زلزلة في صدره ضيقت عليه أنفاسه ، فصاحبته حموضة في معدته إعصار في جوفه يكاد يقطلع كل طموحاته التي يعيش عليها ، لن يصنع مملكة ولن يصنع أمرا مبهرا ، لن تنمو سلطته الحيز أوسع من القبائل الثلاثة و الواحة .

تمنى أن تأتيه قوة ما غير طبيعية قوة عفريتية أو جنية ، أو حتى شيطانية . قوة تمهد له طريقا لتحقيق الطموحات وتجسيد البطولات قوة تعليه فوق دائرة المنافسة وتجعله أقوى وأشطر من أي إنسان آخر أتت قافلة وإن كانت قليلة الجمال هزيلة البضائع لكنها قافلة والسلام ، هجموا عليها وعادوا بغنيمة هزيلة ، لكن قيمتها المعنوية كبيرة .

بينوا لأهل القبائل أن الهزيمة اليتيمة كانت استثناء ، والانتصارات هي القاعدة عاد أهل القبائل للرضاء وتوقفوا عن البكاء والشكاء حاول من فهموا خطورة الحال أن يفهموا من لم يفهموا ، فلم يفهموا ، فهل يفهم من هو دون فهم ؟

الأكثرية رغم الخطب المفزع المريع كل ما يهمها رزق اليوم السريع، وخبز الغد الوسيع أما ما هو وراء الوراء ، فلا مقدرة لهم للتوقع ولا رغبة ، ولا اهتمام بالخطب المفزع المريع ولا رهبة ، قلم القلق واللحم متواجد وقازانات المرق عامرة ؟

ضغط عبد الرحيم الوسيم على شليب ، عليه أن يوافق على عودة وعد ودعد للقبيلة وإلا سوف يحرمه من المشاركة في الغزو ، الليلة التالية وعد ودعد أتيا ، وقبل أن يذهبا إلى خيمتهما زارا عبد الرحيم ليشكراه ، أخذه وعد بالأحضان ، ولما صافحته دعد أمسك بكف يدها وتحسسها تحسسا ظاهره الأخوة وباطنه الرغبة ، يؤكد بتحسيسه أنه مازال متلهفا عليها تلك الغزوة الأخيرة يسيرة الغنائم ، هي ما أفرغت صبر ملك مملكة الأنهار الجارية وهذا الملك العتيد في مملكته والعنيد في تفكيره ، اسمه الملك علوي السميد .

قرر أن يعد هجوما على قبائل غرب الخمساوي ، قبائل يتزعمها زعيم مغرور أهوج اسمه عبد الرحيم الوسيم الهجوم يقوده قائد جيوشه المحنك دربال الملك له شقيق أصغر منه اسمه سلوي السميد مات وترك ابنا واحدا ، واسمه راسم ، هذا الأمير في مطلع شبابه لم يتخط السادسة عشر ، هذا المدلل غضـب أشد الغضب ، فهو يريد أن يقود هذا الجيش بنفسه بكى واشتكى لأمة الأميرة ذات الرفعة ، فأسرعت إلى الملك علوي السميد .

طالبته بأن يسمح لابنها راسم أن يقود هذا الجيش ، فمحاربة بدو الصحراء ، أمر هين لين بسيط ليس غويطا و هذه فرصة ليكسب شعبية لدى الرعية ولما حاول الملك شرح صعوبة هذه الحرب الصحراوية ، فالطريق في الهجير ليس سهلا ، والتحكم في الجنود خلال تلك المسيرة وما بعدها ليس هينا ، لذلك تحتاج تلك الحملة لقائد محنك ، وراسم شاب صغير لم يتدرب على قيادة الجيوش ، بعد ، بل إن تدريبه في الفروسية سيئ بكت الأميرة ذات الرفعة و اتهمته و دموعها تهطل مدرارا ، بأنه جاحد لذكرى أخيه ســــــلوي السميد الذي مات ، ثم زادت طرقا على المشاعر ، تذكيره بأن ابنها الوحيد الذي هو ابن أخيه سلوي السميد ، سيتزوج ابنته الوحيدة الأميرة فاتن العام القادم ، وراسم يحلم في حفل زفافه على ابنتك الفاتنة فاتن ، بأن يحتفل شعب المملكة به ليس فقط بأنه ولي العهد والملك القادم ، بل أيضا على أنه بطل حربي همام .

فلا تكسر بخاطر ابني الذي سيكون زوج ابنتك وأبا لأحفادك، الملك علوي السميد ، يعرف أن ابن أخيه راسم شاب طري غوي ، لا يتحمل الخطوب وليس له في الحروب وافق الملك تحت إلحاح الأميرة ذات الرفعة ، قائد الجيوش دربال صمت مرغما وهو غاية في القلق لذلك صمم على أن يرافق الأمير راسم ، والجيش الجرار، ستة من القيادات الحربية من المحنكين الكبار، وعلى رأسهم القائد الشاب حميدو شامة ، حميدو هو خليفة دربال في قيادة جيوش المملكة دربال يثق في مقدرة حميدو ، رغم أنه قلق أن يأتي يوم ويبعده الملك عن قيادة الجيش و ينصب حميدو شامة بدلا منه ، أما الملك علوي السميد فهو يثق في حميدو شامة ، لذلك قابل حميدو شامة وحثه على التواجد في هذه الحملة العسكرية ، من ناحية ليكون عونا للأمير الغرير راسم، ومن ناحية أخرى ، ليساعد حميدو شامة على نسيان كارثة زوجته التي ماتت وهي تلد ابنهما الذي مات هو أيضا.

مر ما يقارب العام ليتخذ هذا الجيش أهبته خلال هذه الأشهر ، الجمود والملل يطغيان على حال القبائل البدوية الثلاثة ، المتحرك الوحيد هو جيل قديم يصاب بالشيخوخة وجيل وسط يأخذ مكان الجيل القديم ، وشباب يدخل الرجولة وشابات يكتملن إناثا وصبية وصبيات يستوون ، وأطفال يشبون من الطفولة لما بعدها متعجلين ويبدأون في ترك مرحلة الطفولة ومنهم أبناء عبد الرحيم أما عبد الرحيم نفسه فجماله يزداد ورشاقته في ازدياد علامات السن بطيئة عليه ، يراقب ، وسامته كل يوم .

فخور أن نضارة وجهة نار أوضح مع الوقت ، وإن كان أصابته زلزلة من شعرتين بيض انطلق الجيش و سار وهو مملوء بالثقة ومشحون بالفخار . الأمير الصبي راسم لا يطيق القائد الشاب حميدو شامة ، يعلم أن هذا القائد وضعوه ليقود ، مما يجعله وهو الأمير مجرد زينة واسم يغار من حميدو شامة ويحقد عليه ، ليس فقط لقدرته القتالية ، بل لأن حميدو شامة وسامته أقرب لوسامة الفرنجة ببياضه الناصع ، محبوب من النساوين

والفتيات المراهقات ، شامته التي على خده الأيمن تزيده فتنة ، الأمير راسم قرر أنه حين يكون الملك ، سوف ينتقم من حميدو شامة بأية حجة .

جبل عال صعب صعوده ، على قمته ما يشبه حجرة من الأغصان والقماش ، لا تبين بسهولة من بعيد يقيم بها ثلاثة مراقبين يتناوبون مراقبة ممرات القوافل جاء رسولهم فزعا لخيمة عبد الرحيم الوسيم ، قافلة آتية من الشمال ، من حيث مملكة الأنهار الجارية ، قافلة ليست ككل القوافل ، فيها من الخيول أكثر بكثير من الجمال، وفيها من الراحلة أكثر بكثير من الخيول إنها جيش عظيم ذو تشكيلات قتال آتية للانتقام .

جيش متين البنيان ، يحوي فرسان الوديان وفرسان البدو ، من الواضح وضوح فلق النهار أنهم أتوا لينهوا خطر عبد الرحيم الوسيم ضرب الناس الفزع وصاروا في رعب وهلع الجميع يلتف حول الجميع قبيلة كراعة حاصرت خيمة زعيمها عز البادية يصرخون فيه...هل سيتم قتلنا جميعا رجالا ونساء وأطفالا هل سيكون زعيمنا القادم ليس عز البادية بل ذلها ؟

وفي قبيلة مناعة التفوا حول خيمة سعدان الأيمن غاضبين متهمين أخاه عبدان بأنه السبب ، فيما سيجري عليهم من وبال فهو الذي ساقهم خلف عبد الرحيم الوسيم لأنه تزوج ابنته ، والآن ملك الأنهار الجارية سوف ينتقم منا نحن ؟

هل يا سعدان سننهزم و نقتل ومن يفلتون من القتل ، يصيرون عند ملك الأنهار الجارية عبيدا و جوار؟ أما في قبيلة صبارة، فالموقف أشد والغضب محتد التفوا حول خيمة عبد الرحيم الوسيم ليسوا قلقين ، بل مرعوبين سائلين ..

- هل ساعة نهايتنا أقبلت ؟

- هل شقتنا لحتوفنا وأنت الضال ونحن الضالين ؟

بالفعل الموقف خطير ذكاء عـبد الرحيم حاد، وذكاء أمه النبيلة أحد اتفقا على إحراج معارضي عبد الرحيم الوسيم ، وإعلام القرى الثلاثة بصراحة أن جيش ملك الأنهار الجارية جيش خطير ، وبأنضمام فرسان بدو شرق الخمساوي لهم صار أخطر .

هـــذا الجيش العرمرم ، مقبل عليهم للانتقام ، وإن انتصر عليهم ، فلن يعاملونا بسماحة سيبيدون الكل ، وسنتجرع الذل الأمر واضح لا يحتاج لفصاحة إذن الحال لا يحتمل الخلاف ولا يطيق الاختلاف ، ولا فائدة من اتهام الزعماء ، فما فات قد فات ، المهم ما هو آت فمن هو مع الزعيم عبد الرحيم الوسيم ، ومن هو ضده ، كلاهما واجب أن يتكاتفا، وإلا قتل الرجال ، وشبيت النساء وضاع الأطفال نجحت فكرة الحشد ، ولم يكن في جعبة المعارضين لعبد الرحيم ، إلا أن يقفوا معه صفا واحدا....جيشا واحدا المعارض كان فارسا صنديدا يكره عبد الرحيم وعبد الرحيم يكرهه.. الحساني التلي ضغط على الحساني ليكون مع الجميع ، قال له..

- حساني، ستحضر هذه المعركة الحاسمة ، أنا أحتاج إليك ، كما أن قبائل غرب الخمساوي تحتاج لفارس صنديد مثلك وتذكر.. لا أريد أي تطاول منك على عـبد الرحيم ، أنا مثلك أعرف أنه داكن النفس بالغ الأنانية مغرور، لكن من أجل قبائلنا مضطرين أن نكون عـضاله تكتل جـيش القبائل الثلاثة ومعهم فرسان البهاليل .

الواحة رفضت الحشد فقـط أرسلت عشرين من رماة السهام على رأس جـيش القبائل والبهاليل ، معلم الفروسية التلي فارس قبيلة مناع ة، رغم وضوح هزاله معه الحساني فارس قبيلة كراعة ، والرماح بن مفتاح فارس قبيلة صبارة معهم الفارس عاقص الذي زحفت على بنيته السمنة ، ولم يعد من الفرسان الكبار إلا اسما ، يضاف إليهم عدد من الفرسان الشداد الذين تدربوا أيا تحت إمرة التلي . اليوم يوم الملحمة ، إما انتصار للجميع مثمر مبهر، وإما هو يوم المشأمة ، يوم انهزام مغبر ، وخزي على الجميع مدمر ، انطلقوا

من الصباح الباكر ، الحريم والأطفال ينشدون تشجيعا وهم في ذيل قافلة رجالهم المقاتلين حقيقة تحت أمواج الأناشيد تيارات سفلية من رهبة العاقبة ترجف القلوب ، وتلقي عليهم خياما من التوقعات البشعة. قبل أن ترتفع الشمس كانوا فوق جبلهم المعتاد ، بمن معهم من حريم وأطفال قليلين مظلات قماشية عديدة يجتمع تحتها العشرات.

أعلى مكان في الجبل ، وتحت مظلة قماشية ، القيادات جلست أرضا تتفكر.. كيف يديرون هذا القتال المحزون ؟

لم يتركوا القيادة لعبد الرحيم وحده ، ولا هو بالشراكة مع كبير البهاليل كما هو متبع وكبير البهاليل هو ذو الندبة شارك معهما الفرسان الكبار ، التلي والحساني والرماح وعاقص أتتهم العيون التي أرسلوها ، لتقدير محدد لحجم جيش ملك الأنهار الجارية أتوا قلقين ، جيش مملكة الأنهار جيش لم نر مثله من قبل ، وصعب أن نرى مثله من بعد فلم يحك عن مثله الأقدمون جيش مملكة الأنهار الجارية يزيدون عن ألف فارس على الخيول ، يرافقهم مائة فارس بدوي . بين الفرسان الخيول ، خمسمائة جندي من المترجلين فرسان مملكة الأنهار الجارية ، وجنودها الماشين ، الكل راكب وماشي يرتدون بيضات معدنية لامعة ، وتحتها غطرة من زرد الحديد، تتدلي من تخت البيضة المعدنية، لتغطي العنق وأعلى الأكتاف المعدن يعكس أشعة الشمس وكأنها ألوف من شموس متلاصقة بخلاف مؤخرة الجيش ، بها ما لا يقل عن مائة جمل محملة بالمؤن أما القيادة التي تسير في مقدمة الوسط .. فأميرهم وسطهم ، وعلى يمينه ثلاثة من القواد الكبار، وعلى يساره ثلاثة وفوقهم مظلة حمراء، يحملها من أطرافها خدم على ظهور الخيول. حول القيادة كوكبة من خمسين فارشا خاصين بحماية الأمير والقيادات الستة يا له من جيش مرعب مفزع. لقد أتانا ملك مملكة الأنهار الجارية بما لم تسمع به البدو من قبل. أتوا بقضهم وقضيضهم ، وهل للبدو قبل مواجهة كل هذه القوات المفزعات المرعبات الآتيات ؟!

إنه يوم تزيغ العيون فيه وتتهاوى القلوب متزلزلة وتتناثر الظنون متهالكة إذن ، جيش القبائل الثلاثة لن يستطيع هزيمة كل هذا الجيش العرمرم . قـال التلي ...

- الصدام مع هذا الجيش الهائل ، هو انتحار.

قـال عبد الرحيم ...

- الحرب خدعة، فلنا أن نخادعهم . قال الرماح ..

- النهاجمهم من الأجناب ولا نتصادم معهم .

قـال الحساني ...

- نحن فرسان أسرع ما نكون على الرمال الصحراء لعبتنا لنهاجم مقدمته في سرعة، ونثخن فيهم ، ونتقهقر فنزعزع ثقتهم ونرعبهم ، وهكذا حروب صغيرة نقرر مكانها نحن فاجأهم عبد الرحيم بفكرة أفضل ..

- ونحن آتون ، التففنا حول مستنقع السفوف ، إن استدرجناهـم ليغرقوا فيه ننتصر نصرا مـبينا .

قبل أن يعترض الحساني ، ابتسم التلي وقـال ..

- تعلم يا عـبد الرحيم أنني لا أحبك ، لكن علي أن أقدر فيك فروسيتك ودهاءك أنا موافق على خطتك أضيف .. علينا ألا نترك لهم فرصة ليرتاحوا من سيرهم الطويل الشاق على الرمال المنهكة ، علينا ألا نترك لهم فرصة لتناول غذائهم .

اتفقوا أن القيادة لعـبد الرحيم الوسيم ومعه التلي ، أما ذو الندبة فله دور ، لأنه وفـــــرسانه أقدر على الحركة السريعة ، فسيكونون في المقدمة التي تخدع جيوش مملكة الأنهار الجارية تناولوا تمرات بسيطة وتجرعوا المياه استعدادا لساعات قتال ستطول شدوا أحزمتهم الملتفة بإحكام على وسط أجسادهم ، واطمأنوا أن السيوف مستعدة وقفوا على كثيب رملي ليشاهدهم جيش الملك الشمس بدأت تميل للعصر .

توقف جيش مملكة الأنهار الجارية ، يستعدون للراحة وهبطوا من ظهور خيولهم وجمالهم ليتناولوا طعاما سريعا ويرتووا ، وما كادوا، حتى فوجئوا بمجموعة فرسان فرسان البهاليل من أعلى الكثيب هاجمين في سرعة خلف فرسان عبد الرحيم والتلي .

ارتبك جيش مملكة النهار الجارية بدو شرق الخمساوي مثل بقية البدو ، سراع الحركة صاح فيهم قائدهم الكهل ملقا بأوامره ، فأعاد ابنه الشاب صيحة أبيه بصوته الجهوري فامتطوا ظهور خيولهم ينتظرون الأوامر من قيادة جيش المملكة جيش مملكة الأنهار الجارية في لعبكة ودربكة ، اتخذت تشكيلاتها استعدادا للقتال كونوا حائطا عريضا بدروعهم ورماحهم ، لكن قلوبهم ونفوسهم ليست حائط عريضا صلبا ، كما مظهر دروعهم الطويلة العريضة ورماحهم المشرئبة ، فهم في إعياء وعطش وجوع متهالكين وكأن ضربهم وباء البهاليل يصيحون صيحات الحرب، حتى قاربوا العدو ، ثم توقفوا فجأة وتراجعوا ، وكـــأنهم من كثرة جيش الملك اندهشوا وانصدموا فجبنوا القواد الستـــــة

خلف جدار فرسانهم ، التفوا بخيولهم في دائرة يفكرون ويد برون ، لكن الأمير راسم صغير السن المدلل المندفع المفتون ، أمر بالهجوم وترك قواده في وجوم لم ينتظر مشاورة القائد ، حميدو شامة فرسان الجيش هجمت مطاردة في الهجير وعلى الرمال التي تمتص القوى فرسان البهاليل و عـبد الرحيم و التلي أسرع يطيرون بخيولهم السريعة على الرمال ساحبين فرسان الملك على خيولهم وفرسان البدو يسرعون خلفهم مضطرين .

الأمير راسـم و القواد الستة و حراسهم الفرسان يسرعون خلـف فرسانهم ، أما الجنود الراجلون المحتملون بالسيوف وبالدروع الأثقل فيسرعون خلف الجميع يلهثون وأنفاسهم متقطعة فرسان البهاليل وعـبد الرحيم والتلي صعدوا كثيبين متوسطي الارتفاع صعد خلفهم فرسان الملك . وحين وصل فرسان الملك بخيولهم للقمتين و خلفهم فرسان البدو ، وجدوا على بعد نساء وأطفال البدو يهربون وهـم يصرخون ويبكون ، و فرسان العدو

يفكون خيامهم ويعملون متاعهم ليفروا من المعركة ، فرسان الملك رغم الإنهاك، نظموا أنفسهم في صفوف عريضة مستبشرين بالنصر السريع ثم الراحة والطعام والشراب الوفير. صاحوا صيحة هجوم فرح ، هاجمين في حماس ليقضوا على فرسان القبائل ، انهمروا نازلين في أقصى سرعتهم وكأنهم شلال لحمي ، خلفهم فرسان البدو وعلى رأسهم قائدهم الكهل واسمه زين الفوارس ، وابنه الشاب الحارس بن زين الفوارس فرسان البدو لم يندفعوا بقوة مثل جيوش مملكة الأنهار الجارية ، فرسان البهاليل وعبد الرحيم والتي مازالوا يشخصون أنهم للهروب عازمون ، فزاد جيش المهاجمين من سرعة انحدارهم لتحت الكثيبين وهنا وقعوا في المكيدة الماكرة ، اندفعوا في مستنقع السفوف فوجدوا خيولهم تنغرس بأقدامها في الرمال اللينة . اندفاعهم القوي جعل تلك الحيوانات القوية .

تستمر في العدو وهي تغوص إصبعا بعد إصبع ، وفي نفس الوقت الصفوف خلفهم تكالبت عليهم ، تصطدم بهم وتدفعهم لاستكمال التوغل في مستنقع السفوف .

الصفوف الأمامية من جيش الملك تبينت الخدعة ورمال المستنقع الناعمة الحريرية وصلت الثلث الأسفل من سيقان الخيول ، التي توقفت عن العدو وأخذت تصهل محذرة وقد أدركت قبل فرسانها الخدعة فركبها الرعب .

حاول الفرسان الرجوع بخيولهم ، لكن الخيول تنغرس أكثر إن تحركت أي حركة الخيول تحاول الالتفات ولا تستطيع ، الفرسان الذين خلف المنغرسين ، لا يزالون مندفعين بكامل سرعتهم وفرحتهم ، يتكالبون على صفوفهم الأمامية و الصفوف الأمامية تصرخ رعبا خوفا على حياتها ولتحذير من في الخلف ، لكن لا يستمع لصراخهم و استغاثاتهم أحد ومن يتبينون المكيدة من الخلف ، لا يجدون وقتا وفرصة لكي يتوقفوا ، هم بدورهم ينضغطون تحت تكالب الذين خلفهم وهكذا . لا أمل في إيقاف انحدارهم القوي مائة من الخيول تصهل والفرسان يصرخون وهم يغرقون في لجة الرمال الناعمة الصفوف التي في

نهاية الجيش وأغلبها من فرسان البدو توقفت ، المفاجأة أخذت منها دقائق لتتبين الأمر ولتعرف ماذا تفعل ، قائد البدو الكهل أمر بالانسحاب فأعاد ابنه النداء بصوته القوي المسموع ، في هذه اللحظات كانت رماة قبائل عبد الرحيم ومعهم رماة واحة النخيل تطلق السهام ، فيصدر من سهم منطلق صوت شششششيو . شششششيؤ . تركوا من يغرق يغرق وجعلوا من لم يدخل مستنقع السفوف أهدافا لهم ، النبل ترشق فيهم، خاصة نبل البدو التي صنعها لهم شاكا الأسود ، فازداد جيش مملكة الأنهار الجارية تخبطا حاولوا الإدبار فتصادمت الخيول وازدادوا بالا ، وسقط من سقط من الاصطدام ، وسقط من ســـقط وقد ناله سهم من السهام ، من استطاعوا الإفلات صعدوا

على قمتي الكثيبين ، وانحدروا من الجانب الآخر في هذا الوقت البهاليل دورهم تتبع الشاردين من جيش المملكة هنا وهناك ، أما فرسان عـبد الرحيم الوسيم والتلي فقد انقسموا قسمين ، قسم تحت قيادة عـبد الرحيم الوسيم يندفع من يمين مستنقع السفوف وقسم من الشمال تحت قيادة التلي ، التفوا من جانبي المستنقع صاعدين ليستكملوا قتل الواقعين تحت مرمي السهام ، ثم مطاردة من يهرب منهم .

خلال هجوم مجموعة عبد الرحيم الوسيم ، والسهام مازالت تسقط على الأعداء ، سهم منفلت وحيد يطير عاليا ، منحرفا بعيدا عند هذه المرسوم ليتجه نحو جيش عـبد الرحيم ثم يهبط قاصدا الظهر المطلوب ، سقط فارس من فرسان الهجوم وقد فوجئ بالسهم الخائن يصيب ظهره ، ولما كادت تصل مجموعتا عبد الرحيم و التلي لأعدائهما ، توقفت سهام البدو عن الانطلاق حتى لا تصيب أتباعها .

الأمير راسم والقواد الستة وحراسهم الفرسان خلف القمتين لم يروا المكيدة ولم يحسوا بها مازالوا يندفعون للأمام ، والخمسمائة جندي الماشين خلفهم وقد تقطعت أنفاسهم تماما تعجبوا من صيحات الفزع ، فظنوها صيحات فزع جيش عـبد الرحيم .. فوجئوا بارتداد

فرسان جيشهم الهارب في خذي وهلع. صرخات وبكائيات المرتدين من جيشهم مرعوبين ضربت قلوبهم وعقولهم لقد حمى الوطيس و سوف يبين الشجاع من الخسيس القواد الستة حاولوا سماع ما جرى من الفرسان الهاربين ، ليقرروا ما العمل الأمير الصغير الجبان راسم ، سقط قلبه وصار أقرب لإسته أمر بالانسحاب وبدأ هو في فراره !

وقبل أن يراجعة قواده في قراره ، كان قد لوى عنان فرسه ليصير أول الهاربين القيادات الستة وحرسهم في حيرة ، قرر ثلاثة الهروب خلف الأمير ومعهم أغلب فرسان الحرس الخمسين ، بقي القائد حميدو شامة ومعه قائدين ، مع بقية فرسان الحرس .

قرروا تحمل المسئولية والبقاء لاستعادة زمام الجيش وتنظيمه ، الأمير راسم وفرسانه والقيادات الثلاثة ومن رافقهم من حرسهم يخترقون جنودهم الماشيين الخمسمائة بقرار الأمير راسم بالانسحاب ، تفكك جيش ملك مملكة الأنهار الجارية تماما ، الجنود الماشون التفوا ليهربوا خلف أميرهم و أنفاسهم لا تساعدهم من عمق تعبهم وقرب انهيارهم.

سيقانهم خائرة وعقولهم حائرة .. ما هذا الذي يجري ؟ وكيف ؟

هل نحن في هزيمة منكرة فعلا ؟

لكن نحن جيش مملكة الأنهار الجارية وعدونا مجرد بدو همج ؟!

هرج ومرج فوضى الانسحاب الجبان مصيبة كبيرة خطيرة فرسان عـبد الرحيم وفرسان التلي وجدوا أمامهم جنود الملك بملابسهم الثقيلة وأغطية رؤوسهم المعدنية في إنهاك ورعب وفزع معطين للمهاجمين أدبارهم بسيوفهم يقتلون فيهم وكأنهم مجرد خراف لا حول لها ولا قوة ، خراف لا تملك غير الثغاء الباكي الأصوات هي قرع السيوف على بيضات المعدن التي تغطي رأس جنود الملك أخترقوهم ليلحقوا بالفرسان الفارين ، خيول جيش الملك مثلها مثل من يمتطونها من فرسان ، في جوع وعطش وإنهاك تام وحيرة وتشمم رائحة الموت الذؤام لحقت بهم خيول القبائل يقتلون فرسان الملك بسهولة ، هذا رغم

محاولة القائد الشاب ومعه زميلاه أن يقاوموا ببسالة ، وأن يشجعوا جيشهم على الثبات الهاربون كان قتلهم أيسر من الصامدين !

فرسان شرق الخمساوي ، كانوا يبتعدون عن القتال ، تداخل بعض فرسانهم مع جانب من جيش المملكة ، ومن سوء الحظ كان عبد الرحيم وفرسانه يشقون الصفوف ، فحدث الصدام بين بدو وبدو ، والأسوأ أن عبد الرحيم تقابل مع الكهل قائد بدو شرق الخمساوي، وسريعا ما حاصره ، ابن الكهل لم يكن قريبا من أبيه .

يسرع على حصانه محاولا إنقاذ أبيه ،لكن حال بينهم موج الفرسان المندفعين هنا وهناك بعينيه شاهد عبد الرحيم وهو يجندل أبيه قتيلا فرسان عبد الرحيم ابتعدوا قدر إمكانهم من فرسان بدو شرق الخمساوي ، فهم لا يريدون قتلهم .

البدو لا يبيدون البدو تركيز القتل على جنود مملكة الأنهار الجارية ساعة زمن ، وقبل أن تغرب الشمس ، استسلم جيش ملك الأنهار الجارية ، استسلم الأمير الصغير راسم ولم ينفعه هروبه السريع ، وتم قتل القيادات الثلاثة التي هربت معه استسلم القائد حميدو شامة بعد أن قاتل بشرف ولم يتخل عن جنوده ، قاتل حتى أصيب في صدره إصابة ليست هينة ، وإن كانت لحسن حظة، لم تصب القلب ، والقائدان اللذان ثبتا معه، أحدهم قتل والثاني أســـر .

صعب أن يتم إحصاء أعداد المستسلمين من فرسان وراجلين ، وقد صاروا أسرى مهانين بدو شرق الخمساوي وقفوا بعيدا ساكنين ، فقدوا عددا من القتلى وعلى رأسهم كبيرهم الكهل زين الفوارس إنه استسلام هادئ خائف لكن ليس مرعوبا .

الغروب الدامي ، الشمس حمراء في خط الأفق،حمرتها حولت الصحراء الصفراء إلى حمراء ولم تكن الشمس وحدها من فعلت ذلك بالرمال بل سيوف ونبال جيش عبد الرحيم أيضا اسالت من دماء أعدائها الكثير ولونت مساحات من الرمال بلون الدماء الحمراء انتهت

المعركة جيش عبد الرحيم حملوا في عودتهم جثث قتلاهم وجرحاهم ، وسمحوا لقبائل شـرق الخمساوي أن يحملوا قتلاهم وجرحاهم أيا تركوا قتلى وجرحى جيش مملكة الأنهار الجارية ، تركوها مبعثرة مثخنة في دمائهم .

النساء والأطفال الذين صاحبوا جيشهم ، النساء والأطفال يصيحون ويغنون ويتراقصون ويحتضنون بعضهم ، يضحكون ضحكًا هسيريا ، و هم يساعدون رجالهم في ربط أذرع الأسرى ، فمن منهم كان يتوقع هذا الانتصار الحاسم ؟!

كانوا يتوقعون الهزيمة ، أو على الأقل أن يثخنوا في العدو ويثخن فيهم العدو ، فإذا بهذا الانتصار الرائع الفاقع غير المحسوب ، أرسل عبد الرحيم الوسيم ثلاثة من فرسانه ، كل فارس لقبيلته ليطمئنوا . طالب الجميع بالحشد تحت سقيفة المعاهدات بجوار البئر ذهبوا جميعا ، صغارا وكبارا أصحاء ومرضى ، راكبين وراجلين كلهم حول البئر والسقيفة ينتظرون فرحين غير مـصدقين ، أوغل الليل ولم تصل بشائر جيش عـبد الرحيم المنتصرة الغنيمة أكبر وأثقل مما يتوقع أكثر المتفائلين .

مئات من الجمال الشابة ، وضعفها من الخيول الرائعة. مئات مئات من الأسرى فرسان وغير فرسان ، وكلهم بدون سلاحهم وبدون دروعهم شعورهم مهوشة وسحناتهم بائسة ونفوسهم يائسة ، أياديهم مربوطة خلف ظهورهم ، بالحبال وفتائل من أقمشة تم تمزيقها من ملابسهم وملابس القتلى بينهم من عرفوا أنه الأمير راسم، إنه صبي صغير يكاد يغشى عليه من الرعب خلفه قائد من قواده ، الاثنان مثل بقية الأسرى ، يسيران على أقدامهما منكسين الرؤوس أياديهم مربوطة خلف ظهورهم القائد الكبير حميدو شامة على حصان لأنه جريح رغم إنها كه فقد لفت الأنظار بوسامته رأسه العاري أظهر شعره الناعم المائل للصفرة و الناعس على جانبي رأسه وخصلة منه مستريحة على جبهته العريضة. شامته على خده ألهبت مشاعر البنات المراهقات خاصة ، أما بدو شرق الخمساوي المهزومين أيضا

، فهم على خيولهم أحرار ، فقط نزعت منهم سيوفهم وحرابهم ونبالهم يحملون جثث قتلاهم وجرحاهم على الجمال ، كبيرهم الآن الشاب قوي الجسم الحارس بن زين الفوارس ، وهو ابن الكهل زين الفوارس الذي قتل ، مكلوم من مقتل أبيه مراجل الغضب تفور في حشاه وتشعلها بنار الانتقام .

المسيرة بطيئة مهينة لجيش الملك، وعظيمة مدهشة لجيش عبد الرحيم الوسيم النساء يزغردن و يلوحن بأغطية رؤوسهن و قد كشفن شعرهن ووجوههن !

لا يصدق أحد كل هذه الغنيمة وكل هؤلاء الأسرى ! هل ثلاثة قبائل بدوية بسيطة فقيرة تأسر جيش ملك مملكة الأنهار الجارية وأتباعهم من جيش شرق الخمساوي !

مستحيل لكن المستحيل أمامهم واقع ملموس ، هتافات باسم عبد الرحيم أصحاب الذقون شبرين رغم أنهم أقل من ساهم في هذه المعركة المنتصرة ، فهم أكثر الصائحين المهللين بالنصر و الصائحين بصيحات الله أكبر الصبية الصغار على إيقاع الدفوف ألفوا وغنوا أغنية جماعية قصيرة سريعة تشيد بالزعيم الوسيم ، وبمعركة مستنقع السفوف الفخارية الدفوف تضرب والكفوف تصفق و الألسن تزغرد قبل الدخول في السقيفة التي لن تسع الجميع اتجهوا جانبا وجمعوا جثث القتلى و صلوا عليها ودفنوها في مكان سيكون علامة فخار القبائلهم الثلاثة ثم جمعوا جثث بدو شرق الخمساوي و صلوا عليها و دفنوها في جانب وحدهم شارك عبد الرحيم وعدد من أتباعه في الصلاة على قتلى بدو شرق الخمساوي وقف عبد الرحيم يخطب الجموع الفرحانة ، يبين عظمة القبائل وهي متحدة تحت إمرته وكيف أنه حقق انتصارا لم يكن بشر يتخيله في تلك المعركة التي أطلق عليها الناس اسم معركة مستنقع السفوف. ومما قاله لبدوه ...

- كونوا حولي بيادقا فأنا أميركم وكبيركم وزعيمكم تمسكوا بي دليلا وحيدا فأكون لكم حبلا غير منفصم ، ونكون جميعا واحدا غير مقسم .

ثم أشاد عبد الرحيم ببطولة فرسان البدو وقدراتهم غير المحدودة ، وأنه عفا عن فرسان قبائل شرق الخمساوي بعد أن أقسموا له ألا يشاركوا في غزو قبائل غرب الخمساوي ، لا منفردين ولا متحدين مع جيش ملك مملكة الأنهار الجارية .

عبد الرحيم شرح للبدو المنتشين بانتصاره ، أنه قد أخذ خطوة واسعة لتحقيق القوة البدوية غرب الخمساوي ، وأنه سيجعل كل فرد من أتباعه البدو ، في بحبوحة عيش بما لا يقل عن رعايا مملكة الأنهار الجارية ثم سادت علامات الغضب على سحنة عـبد الرحيم فأخذ يوبخ القلة الحقيرة التي تعارضه وصفهم بالحاقدين الجهلة ، والذين في قلوبهم سم كره له وفي صدورهم جمرات حسد ، أن الله اختصة هو عـبد الرحيم بمواصفات و قدرات خاصـة ترفعه عن البشر العاديين عادت ملامح عبد الرحيم للهدوء ، فقال عن الأسرى .. أما بدو شرق الخمساوي ، فهم بدو مثلنا ، حتى وإن أخطأوا وتحالفوا مع الفلاحين أتباع الأنهار الجارية ، بدو شرق الخمساوي سنكرمهم الكرم اللائق بهم وبنا وأنهى خطبته الحماسية بقوله من المفترض ألا ينسوها ، فهو لم ينسها ولن ينساها ...

- اتبعوني أحني لكم رأس ملك مملكة الأنهار الجارية.

السقيفة لا تتحمل كل أهالي القبائل الثلاثة ، أمر عبد الرحيم بنصبا عدد من الخيام وإرسال جيش بدو شرق الخمساوي، ليبقوا فيها، ويأكلوا ويشربوا القهوة، ومن يريد خمرا فله ما يريد ، ثم ينامون في أمان بقي معه فقط ثلاثة من قياداتهم و فيهم الشاب الحارس الذي ثكل أباه زين الفوارس دخل الزعيم المنتصر عـبد الرحيم وبعده كبار القوم وجلسوا عـبد الرحيم الوسيم في الوسط متربعا ، وعلى يمينه ابنه وولي عهده عبد الجبار ثم عز البادية زعيم قبيلة كراعة ، وعلى يساره سعدان زعيم قبيلة مناعة وعلى يسار سعدان يجلس الحارس بن زين الفوارس المتكدر، والذي عزم على أمر فيه انتقامة أو فيه مقتله ثم الفرسان الكبار بمن فيهم الرماح بن مفتاح والشيخ المفتي بعرور لكن أين التلي؟! قام عاقص واقترب

من عبد الرحيم واتحني ليهمس في أذنه ..

- التلي مرهق ويكاد يسقط من فوق حصانه. الحساني بحجة القيام بتوصيل التلي ، ذهب معه حتى لا يحضر هذا الاحتفال بانتصارك يا زعيم في نهاية الفرسان الكبار ، يجلس الشاب الفارس المتحمس صفوان خلف عبد الرحيم ابناه عبد الودود وعبد السميع وقد صارا في طول واضح وإن كانا لم يصلا لتمام شبابهما ثلاثة من كبار ذقون الشبرين مجلسهم ليس مميزا ، فهم في حالة ضيق .

زحام شديد. أمر عبد الرحيم بفك قيود الأمير لكن لم يسمح له بالجلوس للقائد الجريح حميدو شامة رباط حول صدره يغلق جرحه و قد ظهرت فيه بقعة دماء سمح له عبد الرحيم بالجلوس ، فعبد الرحيم قدر شجاعة حميدو شامة رغم غيرته من وسامته اللافتة للأنظار الأمير راسم المرعوب هبت داخله مكانته كأمير ، ومكانة عمه الملك العظيم انتفخ وقرر أن يهدد ويتوعد هؤلاء البدو الذين سكروا بانتصار صغير ، ونسوا عظمة مملكة الأنهار الجارية فجأة لا يعرف هو كيف فعلها ، صاح..

- أيها البدو الجياع المتاعيس اندهش الجمع الجالس. نظروا ناحية راسم غير مصدقين أن هذا الصبي قال هذه الجملة. أستمر راسم..

- لا يغرنكم انتصار تافه فالهزائم ستتوالى عليكم لن يرحمكم ملك مملكة الأنهار الجارية عمي الملك علوي السميد سيبيدكم يا معشر البدو الأجلاف سواء كنتم من شرق أو غرب الخمساوي الملك العظيم علوي السميد جيوشه ألوف ألوف ألوف ، ألوف لا تنتهي جيشه يمكن أن تحصوه إن استطعتم إحصاء حبات رمال صحرائكم القاحلة الملك العظيم الخطير علوي الشميد سيجعلكم أثرا بعد عين إلا.. إلا إذا ، إلا إذا تعاملتموني معاملة تليق بأمير له مكانته أحذركم من الاستهانة بي ، جيوش مملكة الأنهار الجارية ليس لها حدود ، فعددها أكثر من شعوب البدو مجتمعة مرات ومرات .

اسمعوا وعوا كلماتي حتى لا تكون نهايتكم وبيلة كلمات الأخير بثت قلقا في قلوب البدو نظر البدو ناحية زعيمهم عـبد الرحيم الوسيم ، الحارس بن زين الفوارس متشوق ليرى رد فعل عـبد الرحيم الوسيم عبد الرحيم في جلسته لم يتحرك ، ولم تظهر عليه علامات غضب أشار بإصبعه للأمير ليتقدم ناحيته استبشر الأمير راسـم خيرا وتوقع أن يساومة زعيم البدو أو يحاوره أتى له الأمير الصغير وقف أمام عـبد الرحيم المتربع أرضا. عـبد الرحيم دون أن يرفع وجهه لأعلى أشار للأمير أن يجلس أمامه جلس الأمير فأصبح وجهه أمام وجه عـبد الرحيم فوجئ الجميع بعـبد الرحيم يرفع يمناه وينهال بصفعة قاسية على خد الأمير فرجته رجا الأمير الصغير بهت وتقازم ولم يقاوم نكس رأسه يكاد يبكي من الإهانة والخوف أشار له عـبد الرحيم بأن يعود حيث كان .

الكل صامت ، ثم ضحك رجل فضحك الجميع فرحين بما فعله زعيمهم أشد الفرحين كانوا أبناء عــبد الرحيم خاصة عبد الجبار الذي طال جسده وانفرد كتفاه وبرز صدره أحضرت قناني القهوة وبعض الفاكهة مما كان يحمله جيش الأمير المهزوم كلمات وضحكات حتى كاد الليل أن ينقضي والأمير المأسور ومن معه في موقف حزين وذل مبين أمر عبد الرحيم أن يجلس الأمير راسم ، ويأخذ القائد الجريح ليعالجه مقصوص المزين أطمأن الأمير راسم أنه لن يقتل ، فمد يده تناول قطعة خبز وضعوها أمامه قبل أن ينفض الجمع، صاح فجأة الحارس بن زين الفوارس ..

- عبد الرحيم. عبد الرحيم اسمع لي واترك اللهو الذي لا يليق إلا بالنساء التفت الجميع إلى الحارس بمن فيهم عبد الرحيم الذي لم يكن يعلم أنه قتل أباه، فقد قتل الكثيرين في هذه المعركة الدموية.

قــال الحارس..

- أنت يا عبد الرحيم قتلت أبي زين الفوارس.. أبي زين الفوارس كبير من كبار قبائل شرق الخمساوي إن كنت لا تعلم وأنا ابنه الكبير وإن عدت اللقبائل سوف أكون كبير قبيلتي القوية العزيزة ولن أعود رجلا ذا كرامة فارسا مرفوع الهامة، إلا إذا انتقمت لأبي من قاتله، وقاتله هو أنت يا عبد الرحيم ، أنا أتحداك في مبارزة حالا! صمت وجوم الأنظار تحولت من وجه الحارث بن زين الفوارس الغاضب الكاره، إلى وجه عبد الرحيم الوسيم الهادئ وإن كانت سحنته قد أوضحت الدهشة. قال عبد الرحيم..

- لقد قتلت الكثيرين من الفرسان والراجلين في هذه المعركة، لكن لم أعرف أنني قتلت أباك . هذه كانت معركة فروسية ، وليست اغتيالا.

- لن تهرب من مبارزتي .

- ولماذا تعرض نفسك للقتل ، ولماذا تعرض قبائلنا للحروب نحن وفرنا القتل فيكم إكراما لكم ، لأنكم بدو مثلنا.

- سأبارزك الآن .

- أوافق ، لي شرطان.

- ما هما ؟

- إن قتلتك لا يكون مقتلك شرارة النار بين قبائلنا و قبائلكم وأيظا تستمرون في وعدكم بألا تهاجموننا لا بمفردكم ، ولا كحلفاء لملك مملكة الأنهار الجارية .

- موافق ، ولي شرطان أنا أينما .

- ما هما؟

- إن قتلتك أنا ، لا يكون مقتلك شرارة النار بين قبائنا وقبائلكم . وأيضا، لا تنتقم قبائلك من فرساننا وهم أسرى لديكم .

- لا داعي لشرطيك، فأنت مقتول مقتول.

خرج الجميع من السقيفة الظلام حالك، لم يظهر الفجر بعد لم يقشع الظلام ، ولم يؤثر فيه خمسة مصابيح مبتعدة عن بعضها علم الكثيرون بما سيكون رغم توغل الليل فأقبلوا ليشاهدوا تلك المبارزة الغريبة ، وهم يتوقعون أن يفوز فارسهم عبد الرحيم الوسيم أما أسرى قبائل شرق الخمساوي فهم على ثقة بأن فارسهم الشاب ، فارس همام ومن الصعب أن يفوز عليه فارس آخر .

الصحراء الممتدة المجاورة للسقيفة حلقة واسعة من الناس في الوسط الحصانان عليهما الفارسان ، على ظهر الأول عبد الرحيم الوسيم وعلى ظهر الثاني الحارس بن زين الفوارس أخذ كل منهما الجانب المضاد فصارت المسافة بينهما واسعة تتحمل هجوم الحصانين ومناورتهما ، الحارس بن زين الفوارس في يمينه سيفه وفي يساره درعه عبد الرحيم في يمينه سيفه ولا درع في يساره ، يركز بصره على متحديه وكأن لا حياة في الدنيا سوى هذا المتحدي الأخرق يتنفس عبد الرحيم بغل و يكشر عن سحنته ويزم شفتيه عبد الرحيم صار وحشا لا يمت لإنسانيته بتاتا رفع الحارس سيفه ليعلن أنه سوف يهاجم عبد الرحيم في الظلام لا يرى سيف الحارس ، لكن لما هجم الحارس على حصانه، مد عبد الرحيم يمناه جانبا وسيفه ممتد .

هجم بحصانه المدرب تماما على أوامر قائده ، خاصة الملعوب المشهور به عبد الرحيم الظلام حالك لكن خيال الفارسين والحصانين الهاجمين يظهران وكأنهما قطعتين من الظلام الأحلك مما حولهما ، القطعتان الأكثر ظلاما يندفعان صوب بعضهما ويصرخ الحارس بن زين الفوارس ، فيصرخ عبد الرحيم وقد جذب حصانه ليفعل ما تعلمه ، فانحرف الحصان وبدلا من أن يتقابل الفارسان وكل منهما على يمين الآخر، حيث اليمني الحاملة للسيف انحرف حصان عبد الرحيم فجأة ، ليجد الحارس عدوه وقد أتى على يساره حيث الدرع وفي نفس الوقت كان عبد الرحيم قد نقل سيفه من يمينه إلى يساره، فصار هو أقرب إلى

جانب الحارس الأيس وقبل أن يعدل الحارس من وضعه وقد ارتبك فرسه ، كان عبد الرحيم قد مال بجذعه يسارا وضرب جانب الحارس تحت درعه فاخترق نصف شبر من أعلى عظمة الحوض ، الحارس تألم من الضربة وترك فرسه يجري هنا وهناك دون رابطه عبد الرحيم اتجه بفرسه ناحية أسرى بدو شرق الخمساوي ، وعندهم هبط من ظهر فرسة فرسان شرق الخمساوي في حيرة ، لم يسمع أحد منهم وقع ضربات !

ولا ضربة واحدة من سيف على درع ، ولا من سيف على سيف لا صوت سوى الصراخ الأول عند الهجوم عبد الرحيم يمسك باللجام وقال لهم ...

- كما اتفقنا، مقتل فارسكم لا يجلب عداوة بيننا، ولن تتآمروا مع جيوش مملكة الأنهار الجارية، كما أقسم لي.

قال أحد الأسرى..

- فارسنا لم يقتل . إنه حتى لم يصبه، هو على ظهر حصانه منتصباً .

- منتصب، مثل شاهد قبر ، سرعان ما سيسقط جثة. الحارس على ظهر حصانه وقد أمسك بجرحه النازف بشدة أدرك أنه مقتول مقتول، أمامه دقائق وربما ثوان وينتهي ، تحكم في حصانه الحائر جذب لجامه فأسرع هاجما ناحية عبد الرحيم. اتجهت الأنظار إليه وأنظار اتجهت إلى حيث عبد الرحيم ، الذي يسير عائدا على قدميه ممسكا بلجام حصانه الذي يتبعه هادا أسرى شرق الخمساوي يتعجبون من استهانة عبد الرحيم ، وإنه إن استمر في إعطاء ظهره لفارسهم فسوف يقطع فارسهم رأس عبد الرحيم لكن هذا لم يحدث .. الحارس بن زين الفوارس ، على ظهر حصانه اضطرب قلبه من عدم وصول الدم . الحارس فغر فاه واتسعت عيناه رهبة والحصان مازال يسرع به، سيفه ودرعه سقطا على الرمال قلبه يصفق فارغا ثم توقف عن الخفقان تماما، فسقط الحارس جانبا قدمه علقت بركاب الحصان فاستمر الحصان مسرها يجر جثة الحارس خلفه. الحصان اتجه إلى أسرى شرق

الخمساوي ، عدد من البدو بينهم الفارس الرماح بن مفتاح أوقفوه وخلصوا قدم الحارس من الركاب .

الرماح بن مفتاح شارك في الصلاة على الحارس بن زين الفوارس، وشارك في دفنه مع بقية أصحابه من قتلى بدو شرق الخمساوي ، فشكروه وهمس أحدهم في أذنه ..

- إن أحتجتنا فإت إلينا ، سترحب بك ونكون عضالك .

بعدها أصروا على الرحيل ، ومعهم جرحاهم مهما كانت جروحهم خطيرة رفضوا انتظار طلوع الشمس أمر عـبد الرحيم بتزويد بدو شرق الخمساوي بكل ما يحتاجونه في عودتهم من طعام وشراب ، بل أن يتركوا الهم كل خيولهم بما فيها من خيول القتلى فشكروه وأكدوا أنهم لن يثيروا قبائلهم ضده ، ولن يشاركوا جيش المملكة بعد ذلك في أي هجوم على قبائل عـبد الرحيم الوسيم وحده ذهب عبد الرحيم لخيمة القراء أصر على أن يوقظوه . أتاه القراء . حاول عبد الرحيم أن يعرف رأي القراء في هذا النصر الكبير. القراء قال لـــه ..

- انتصاراتك داخل قبيلتك ، وفي شامل غرب الخمساوي ، ثم في السطو على القبائل وانتهاء بنصرك على جيش ملك مملكة الأنهار الجارية ، أنتصـارات مشهودة نصيحتي ... من طاقاته تقارب أحلامه ينجح ، هذا إن لم يصدمه دهاء الزمن ، أو لم يمنعه قضاء الله أما من تقل طاقاته عن أحلامه ولو ذراعا ، تبتعد عنه أحلامه باعا فيفشل ، وإن أصر على تحقيق طيش أحلامه يكون السقوط المدوي .

الفجر أتاهم ، انفضوا عاد الفرسان الكبار وقد صار أهمهم الرماح بن مفتاح ، عادوا كل إلى مكانه وهم في حيرة ... هل يسعدون مع سعادة قبائلهم ، أم يحزنون لأن النصر نسب أساسا لعبد الرحيم الوسيم ، وها هو فارسهم الأول الصنديد التلي وقد غلبه الإنهاك ولن يكون كسابق قوته وخطورته من بعد ، وبهذا سيتعالى عليهم عـبد الرحيم أكثر و محاصرا لهم أكثر مما سبق ؟!

رغم الفرحة التي تعم القبائل الثلاثة ، فهم يرتدون السواد حدادا على قتلاهم ، وحزنا على جرحاهم خسائر القبائل لم تزد عن ثلاثة عشر قتيلا ، وخمسة وعشرين جريا، الشاعر وعد بن المواعد من بين القتلى ، هو الذي سقط من فوق صهوة حصانه خلال الهجوم على الأعداء الغريب أنه قتل بسهم في ظهره !

دعد بنت سعد في ذهول ، مقتل حبيبها وشاعر القبيلة وعد بن المواعد ، عندها غير مقبول خلال صراخها وتمزيق ملابسها من على جسدها ، أقسمت أنه مات مغدورا السهم القاتل في الظهر وليس في الصدر!

السهم سهم من أهله وليس من عدوه! فهل السهم أخطأ الهدف وانحرف ؟ أم أصاب ما يهدف له ، وذهب إليه مصيرا وظهر المهدوف المطلوب عرف ؟

لم يظهر شاكا مطلقا في هذه الأحداث الكبيرة ، رفض المشاركة في هذه الموقعة ، قال لعبد الرحيم الوسيم ، ليس لي عداوة بهذا الجيش المقبل ، ولما قال الزعيم عبد الرحيم إنهم آتون لمحاربتنا قال شاكا ...آتون لثأر بينهم وبين قبائلك غضب عبد الرحيم الوسيم لكنه لا يريد أذية شاكا ، تحرير شاكا ، هو العمل الطيب الوحيد الذي فعله ، وفي نفس الوقت ، يحتاج إليه في مواصلة صناعة الأقواس و السهام يجب حل معضلة الأسرى سريعا عددهم تجاوز المئات ، فكيف يطعمونهم ؟ بل كيف يحرسونهم ؟

فكر عبد الرحيم مع أمه النبيلة المسمومة . فكرا بروية ومكر..

- لن ننتظر طويلا حتى يسمع ملك مملكة الأنهار الجارية بهزيمة جيشه ، ثم يفكر ويفكر ، ثم يرسل وفدا ليرى الحال بنفسه ، ثم وفا آخر للتفاوض ، لا نرسل شكور ومعه جميع الأسرى وأربعة من فرسان حرس الأمير راسم وكل أسيرين على حصان واحد دون سرح. ويكون معهم ما يكفي من المؤن خاصة المياه شكور يبلغ الملك بما كان ويطلب منه إرسال وفد سريع للمفاوضة مع هدايا تبين حسن النية من يتم استبقاؤهم هم الأمير راسم ،

ومن تبقى من فرسان حرس الأمير وهم ستة فرسان ، والقائد المصاب حميدو فقط يكون مجموعهم ثمانية لا غير ، سجل إطعامهم وحراستهم ، وفي نفس الوقت هم رهينة ثمينة ، سألته النبيلة في موضوع يقلقها ...

- هل سيكتشف أحد أنك الذي أوعز باغتيال وعد بن المواعد ؟

- لا . لقد كلفت عاقص ، وهو يعرف كيفية التفاهم مع الشاب المخمور التافه ترباس ترباس الذي استخدمناه من قبل ، فقتل شابا من كراعة فأوقع بين قبيلتي مناعة وكراعة ترباس هذا حرض أحد الرماة الممتازين التافهين مثله ، فرمى هذا سهمه في ظهر وعد أما هذا الرامي التافه ، فقد قتل خلال بقية المعركة ، والذي لا يعرفه أحد أن ترباس الخناس نفسه هو الذي قتله ، ثم نصحته أمه النبيلة..

- لا تقسو على الأمير راسم ، بل يجب أن تعمل على زوال إهانتك له بصفعه عبد الرحيم تأكد أنك سترضيه ، يوما سوف تذهب إلى مملكة الأنهار الجارية ، فلا تترك الأمير راسم عدوا لك أنصحك أن تزوره في خيمته وتأمر بأن يكون في راحة قدر ما نستطيع .

خلال انشغال القبائل ، أخذها شاكا فرصة ، أتي بالحصانين الذين اشتراهما هو على حصان ومعه ما يحتاجونه ، والحصان الأخير عليه خضراء الفارسية وابنها زيدان .

ذهبوا كالعادة إلى واحة النخيل يستريحان هناك ، فأهالي الواحة يعاملونهما أفضل بكثير من معاملة البدو ، وهناك شاكا يجالس الحكيم عبد الحكيم ، وفودة المتبحر في العلوم وفي الدين الإسلامي ، وأسامة بن تأمر، بل وتامر بن الفارع نفسه إن كان موجودا في هذا المجلس كان العجيب أن تحضره النبيلة الثانية ولم تبلغ الحلم بعد ، ابنة الزعيم عبد الرحيم الوسيم ، فهي مقبلة على المعرفة يساعدها ذكاؤها الحاد ، فأوغلت في المعارف ومرت على كتب التاريخ وسير الملوك وأخبار الأمم ، وأهم فواصل أحداث التاريخ ، وأشياء عن البراكين والزلازل والفيضانات، والأوبئة وما فعله الطاعون بالشعوب الغابرة وقد قبلها

وأعجب بها الحكيم عبد الحكيم ، بعكس رفضه لوالدها من سنوات طويلة أما خضراء الفارسية ففي الواحة تنزع نقابها وترتدي ما يناسبها من ملبس ، وتبقى بحريتها، مطمئنة أنه لن يضايقها أحد ، كـل ما ستجده نظرات إعجاب تفرح ولا تضر. وإن تجاوز شاب ساخن ، فتجاوزه لا يصل لحد اللمس أو التعدي بالقول ، الخضراء تبقـى كثيرا في بيت تامر بن الفارع ، البيت واسع مترع بالخيرات ، صادقت العائلة ، خاصة الرباب بنت تامر ، الرباب عاشقة الفنون من موسيقى وغناء ورقص ، شاكا يعلم بعض الشباب صناعة الأقواس والسهام ، ولأن الواحة متمكنة من صناعة النسيج ، فشاكا أدخل عليهم رسومات وتشكيلات إفريقية جديدة ، ولما حكى للرباب عن آلة موسيقية تستخدمها قبائلة التي خطف منها ، طلبت منه أن يصنع واحدة ويعلمها العزف عليها . الوحيد الذي لم تتقبله الواحة برضاء ، زيدان أبن خضراء الفارسية. زيدان صبي ينمو سريعا ، حاد، الطبع سريع الغضب ، ورغم شراسة وغلاسة زيدان ، فلم ينادون بالاسم الذي يكرهه .. زيدان بن أبيه ، بل زيدان فقط وفي هذه الأيام بدأت رائحة البن اليمني تزيد في واحة النخيل ، ومـن الواحة إلى قبائل البدو الثلاثة .

بن يمني يتاجر فيه تامر بن الفارع ، نوع له طعم خاص ينعش الدماغ ، يأتي به من ميناء مخا اليمني إلى ميناء رذية ، ومن ردة إلى بلاد الإفرنجة ! تامر بن الفارع تاجر مطبوع. صباح اليوم التالي ، مسيرة الأسرى تتأهب بجوار سقيفة وبئر المعاهدات وجوههم المغبرة المتعبة المذلولة ، تحمل بعض الراحة أنهم عائدون ولم يتم ذبحهم من هؤلاء البدو الأجلاف ! بدو القبائل الثلاثة متواجدون بكهولهم وعجائزهم ونسائهم وأطفالهم ، بل بمرضاهم ! يحيطون بسقيفة المعاهدات فرحين معجبين بدهاء زعيمهم .

شكور بجوار عـبد الرحيم الوسيم، يتلقى التشجيع والتبجيل من بدو القبائل الثلاثة خاصة من النبيلة التي احتضنته كثيرا ودعت له بسلامة الذهاب والإياب زوجته وسط النساء لا

تحتمل رحيله فيأخذها البكاء ، بناتها الثلاثة حولها باكيات أيضا ينظرن بحب وشفقة لأبيهم شكور ، ثم ينظرن في غيظ وكره لعـبد الرحيم الوسيم أكبرهن عواضة تحمل ابنتها الرضيعة الباكية ، وبيدها الأخرى تحتضن أمها تقدم شكور ناحيتهن .

في قلبه حزن .. لو كان ابنه الذي قتله الجمل حيا ، لكان شابا الآن ، وكان رجل العائلة في غيابه ربت بيد على كتف زوجته مشجعا مهونا من رحلته التي يقول إنها سريعة في الليلة الماضية ، بعد أن جامعها جماعا به من الحزن أكثر مما يحوي من متعة زوجته كانت في أسي ثقيل يكاد قلبها يتوقف ، مرعوبة من أن تكون آخر مرة تجد زوجها في حضنها ، بل ربما تكون آخر ليلة يكون فيها زوجها حبيبها في بيتها نزلت دمعات من عيني زوجته إنها دموع خوف عليه من خطر السفر ، ودموع الخوف من خطورة ملك الأنهار وجبروته، لكن في قلبها خوف ثالث ، خوف من نساء المدينة الطريات الغنجات تناول شكور حفيدته من ابنته عواضة ، الحفيدة اسمها حريرية ، فقد ولدت في وقت زاد الحرير في القبائل وصار شائعًا يقبل حفيدته حريرية بحب وحنان ، فمالت ابنته عواضة على أذنه...

- أبي . لا تكن طائعا لعبد الرحيم لهذه الدرجة يرسلك أنت ويبقى هو ؟ أليس هذا خطرا عليك يا أبي ؟ عبد الرحيم أناني ثعباني نظر إليها شكور نظرة ضيق ولوم مما قالت ، لكن ابنته عواضة استمرت في حديثها الصريح المؤلم ...

- أما أحتضان النبيلة لك ، فلا تظن أنها تحبك ، إنها تحب حبك لابنها إنها أكثر أنانية من ابنها شكور أبعد ناظريه عن ابنته غاضبا ، نظر لزوجته في غضب أشد ، وكأنه يحملها ما تقوله ابنتهما . قال ..

- ليس علي أي خطر طالما نحن ممسكين براسم ولي عهد الملك علوي السميد سيتم احترامي هناك وإعادتي محملا بالهدايا إنه شرف لي أن أذهب أنا للتفاوض مع الملك علوي السميد

واعلمي .. إن صديقي الزعيم عبد الرحيم الوسيم ، سوف يرسل لكم نصيبي في الموقعة المنتصرة ، وسوف تعلمون كم يقدرني حين ترون نصيبي الكبير الوافر.

شكور يرتدي أغلى وأفخم الملابس ويتقلد سيفا ثمينا على سنم جمل فتي جميل ذو سرج باذخ، وجمل ضخم آخر يحمل كل ما يحتاجه من ملابس إضافية فاخرة ، وعدد من النعال المحبوكة والعطور المسبوكة فيكون راقيا متحضيرا في حضرة ملك مملكة الأنهار الجارية ثم عشرة جمال تحمل مياههم وشرابهم وطعامهم ، هذا بخلاف مؤونة الأسرى ... يرعى الجمال ويخدم الراحلين ثلاثة من البدو شكور قائد المسيرة ومعه ثلاثة شباب وسامة وفتوة هم بطانته شكور والثلاثة يقودون الأسرى المجردين من السلاح ، ولا خوف من كثرتهم ، فلن يضروا شكور والشباب الثلاثة ، فأميرهم راسم والقائد المصاب حميدو شامة ، وستة من فرسانهم أسرى عــند عبد الرحيم .

انطلقت قافلة شـكور بدو القبائل الثلاثة يهللون و نساؤهم وفتياتهم يزغردن مشجعين محيين شـــكور وحين حلت الظهيرة القاسية ، قافلة شكور الصغيرة قد اختفت في الأفق .

ثلاثة أيام وجاء موعد اللقاء الهام في ظلال سقيفة بئر المعاهدات ، توزيع الغنائم وحل المشاكل و الأطماع التي اشتعلت على الأنصبة مـضى النهار بكامله ، ثم النهار التالي ، ثم الثالث الذي تمت فيه الموافقة على الأنصبة وافق الكل على أن تشتري عائلة السباهي : كل ألبسة المعادن التي كان يرتديها جيش مملكة الأنهار الجارية ، والسيوف الزائدة عن احتياج فرسان القبائل ، والكثير من الأدوات التي كانوا يستخدمونها ، والبدو لا يعرفون لها نفعا.

قرار عبد الرحيم عدم بيع السلاح لواحة النخيل ستبيع عائلة السباهي تلك المعادن والفائض من السيوف والدروع للقراصنة بقيمة ذهبية عالية. الغريب أن القراصنة كانوا في السابق يرفضون بيع السيوف للبدو، حتى لا يتقووا بها، الآن سيشترون السيوف والدروع والعمائم المعدنية من البدو!

نال عبد الرحيم الوسيم الثلث وحده والثلثان الباقيان ما أنصبة أحادية ، من قتل له ثلاثة أنصبة، ومن جرح نصيبان ، وكل فارس مهما علا شأنه له نصيبان بمن فيهم من فرسان البهاليل كل بنترجل له نصيب ، وكل من ذهب للقتال مساعدا في تحميل أو طبخ أو خلافه، له نصف نصيب ، وكل امرأة أو فتاة ، وحتى كل طفل رافق جيش عبد الرحيم في المعركة المبهرة ، له ما يرضيه. شكور له خمسة أنصبة ، نصيب له كفارس وأربعة بصفته سيتحمل مشقة السفر موفدا لملك مملكة الأنهار الجارية .

لم يعترض أحد على عظم نصيب شكور، فرحلته شاقة وبها بعض الخطورة، ولم يرفض أحد أن ينال سامر نصيبا عاليا، فالكل علم أن الشاب الجسيم سامر هو ابن الفارس بشاكر البهادري ، ذو اللبدة كبير البهاليل الذي مات، وتغاضى الكل عن حكاية بشاكر البهادري مع أم سامر التي أطلق عليها اسم خبلانة لكن البعض تعجب من نصيب الفارس صفوان الذي أخذ نصيبا متميزا قالوا ربما لحماسته في القتال وتحمسه .

الزائد للزعيم عبد الرحيم الوسيم الأغلب راض ، البعض غير راض، خاصة الفرسان الكبار.. التلي والحساني والرماح بن مفتاح ، وعدد من الفرسان الشداد في اليوم الرابع ، ودعد في حزنها على فقد حبيبها وزوجها ، زارها عبد الرحيم الوسيم يضع على رأسه غطاء رأس داكن ، أما العقال فعادي ، ليس به الخيوط الذهبية هذا إشهار للحداد دعد في خيمتها وسطر ثلاث من السيدات المواسيات وقبل أن يحادثها عبد الرحيم ، أنشدت...

الله يعلم أني لست أذكره وكيف أذكره إذ لست أنساه نظرت

نظرة تعال لعبد الرحيم ..

- حبيبي زوجي كان ينشد لي هذا البيت من شعر بن الجهم هل تعلم يا عبد الرحيم إنسيا أرق من وعد بن المواعد ، أو من هو أنبل منه ؟

لا تنتظر جوابا ، ضحكت ضحكة مغموسة في التعاسة ..

- هاها . هل علمت القبائل عن عاشق سام مثل ابن المواعد ؟ بل علي أن اسألك يا زعيم القبيلة، هل أحببت ؟ هل مثلك قادر على الحب أيها المختال رملي الفؤاد ؟

نكس عـبد الرحيم رأسه غير قادر على الإجابة قال بعض كلمات مواساة وإعلان حزن ولما رفع رأسه ناظرا في عينيها ، شعت من عينيه موجات من الرغبات الفائرات اهتز بدن دعد من اغتصاب عيني عبد الرحيم لعينيها ، وكان منخريها تنتما عبقا جنسيا يفح من جسد عــبد الرحيم قالت لعبد الرحيم ..

- أحمقا جئت لتعزيني ؟

- طبعا ، فأنا صديق لزوجك رحمه الله ، وفوق هذا وذاك ، أنا زعيم قبيلتك ، بل زعيم القبائل الثلاثة ولي سلطة على الواحة .

- جئت تعزي إذن ؟

- هذا واجب ، أم ترين غير ذلك ؟

- عـبد الرحيم ليس كل من أرتدي شارات الحزن بحزن ، وما يدور ويفور في الجوف في لمعة العينين يبين تركها عـبد الرحيم الوسيم عائدا لخيمته يحادث نفسه أولا في حيرة .

- ما تزال دعد بنت سعد عاشقة لوعد بن الواعد ! ترى ما هو هذا العشق؟ مـا طعمه ؟ وهل له لون ؟ أله حيز يقاس أو وزن يحس ؟

أليست الرغبة في النكاح هي الغرض وهي المبتغى وآخر الخبر ؟

ما هو هذا العشق التي تعشقه تلك البلهاء هي وغيرها؟ وكيف لا أحسه أنا وأنا من أنا ؟ يسير خطوات وخطوات وهو في حيرة ثم قال بصوت ربما يسمعه بشري لو تصادف أن كان بجواره ..

- ما يزال جسدي ملهوف على جسدها ما تزال رغبتي القديمة تتقدمني وكأنها مرشدي رغبتي المشتعلة التي لا تهمد ولا تخبو ولا تتهدل ولا تكسوها رمال الزمن لقد أقسمت

صغيرا أن أنالها ، أن أدخلها أن أستمتع بجسد تلك العنود ، وسوف أنكحها... ليس آجلا بل عاجلا ، دعد لم تقبل تعزية عمها، ورفضت حتى قبول مصافحته أحتضنها أخوها شليب رغما عنها ، يواسيها ويبكي معها ، ذراعاها متدليان ترفضان ضن أخيها الذي هو عدوها، وجهها رغما عنها على كتف أخيها ، وجدت أذنه بجوار فمها فقالت..

- كنت يا شليب ضمن رماة السهام ... قتلت زوجي يا شليب !

تركها شليب منتفضا مبتعدا عنها خطوة. عيونهما تنظران لبعضها في تشكيلة من التحدي والاتهام والاندهاش والإنكار. قال شليب مفزعا.. .لا. لا. لا. أنا لم أقتله ، أنا لم أقتله . أقسم بالله لم أقتله لم يراعي عبد الرحيم عمق حزن دعد ، ولم يراعي شهور العدة لدعد شهور يجب أن تبقي من فقدت زوجها في مقرها لا تغادره ، حتى يتم التأكد أن رحمها لا يحوي جنيئا من الزوج الذي مات أو قام بتطليقها أرسل عبد الرحيم سلمى عرضت سلمى على دعدأن تتلقى هدايا وأموالا أكثر عشر مرات من الذي نالت من الغزوة الكبيرة التي قتل فيها زوجها ، المقابل...أن تقضي ليلة في حضن عبد الرحيم الوسيم دعد وهي في ملابس الحداد السوداء ، وفي حزنها الأشد سوادا ، وثبت على سلمى ونزلت في وجهها ضربا بقبضتيها ، ثم ارتمت عليها لتسقطها وتعضها في رقبتها وصدرها وبطنها ، صراخ سلمى وصل للخيام المجاورة ، وهي ليست قريبة .

خلصوا سلمى من بين أنياب وأظافر دعد دعد تلعنها بالعهر، لكن لم تجرؤ على فضح سبب مجيئها عادت سلمى تبكي أمام عبد الرحيم الوسيم ، عبد الرحيم يضحك من شراسة دعد ، لكنه لم يرق ولو قيد شعره لتورم وجه وشفتي سلمى ، ولم يتأثر بالدم النازف من منخريها وفمها ، ولا من آثار العضات في كل جسمها.

صرف، سلمى وبقى يفكر... إلى متى سوف تقاوم دعد رغباته؟ يتلهف على جسدها ولا يبرد جسده ، إنه يمتلك أجساد زوجتين وعشيقة ونساء أخريات تحت أمره يتلهف على من

تستعصي عليه وتأباه وهنا يا مـولاي ، نكون قد تأكدنا من ضعف البشر تجاه النكاح خاصة غير المباح وتيقنا من تغلب الشهوات على الناس ، الرجال منهم خاصة و نتعجب... كـيف يأمر سليمان بحبس الشياطين المشيطنة الشريرة ، حبسهم في إعصار الخمسـاوي ونفيهم وسجنهم في جبال تورا بورا، ويترك شياطين الإنس ولا يفعل فيهم هذا الجزاء الذي يستحقونه ؟

نقول إن النبي سـليمان ، ما هو إلا بشر نبي ، ينفذ ما يأمره به خالق الكون البارئ والله أدري وأعلم نتوقف الآن ، على وعد بأن نستكمل في الليلة المقبلة إن شاء الله .

مــولاي..

الليلة الحادية عشر

ليلة سمر سعيدة بإشراق نورك يا مولاي شهريار، في الليلة التي سبقت ، كنا نحكي عن دعد بنت سعد ، تلك المرأة الأبنية التي عشقت الشاعر وعد بن المواعد ، وأسرتها عاندتها وهددتها لكنها صمدت حتى تزوجت من تعشق ويعشقها، ثم أغتالوه ! من الذي اغتاله؟ من دبروا المؤامرة الخسيسة يعلمون، وبقية الناس لا تعلم، لكن عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى، يعلم ، يعلم وإن لم يعاقب الخسيس توا ، سوف يعاقبه يوما .

لم يتركوا المكلومة في حالك حزنها، فأرسل لها عبد الرحيم الوسيم امرأة يمينه عشيقته سلمى، لتغريها بالتساهل ومنح جسدها لعبد الرحيم ، فما كان من دعد إلا أن ضربت سلمى ضربا مبرحا هذا ما انتهينا إليه ، أما ما تلا ذلك.. فإنه بعد يومين لم يزيد أغلب بدو قبيلة صبارة ، قبيلة عبد الرحيم الوسيم ، كل في خيمته الواسعة المضيئة ، بعضهم في مضاجعة و بعضهم في لعب ميسر، وبعضهم نائم ، والبعض تسلل في الظلام خارج نطاق الخيام ، ليفعلوا ما لابد للبشر من فعله.

الظلام عام صابب ، والقمر غير مرغوب فيه غائب . شليب مثل كل ليلة منذ معركة جيش مملكة الأنهار الجارية ، منذ مقتلى وعد بن المواد ، لا يستطيع النوم ، وكيف يستطيع النوم وأخته تتهمه اتهاما خطيرا ، كيف ينام وأخته تلقي عليه اتهام اغتيال زوجها وعد وهو لم يغتله ؟!

ترك زوجته تنام مع طفليه. جالس أمام خيمته متلفح بعباءة صوفية ثقيلة يقلب في مآسيه وخطياته وخيباته حزين لما آلت إليه أحوال أخته، أخته الوحيدة ، ومتفكرا في قسوته السابقة ضدها وضد من أحبته وتزوجته ففقدته.

نادم أنه عاندها وحاصرها حتى كرهته الكلب نبح ثم أسرع ناحية الشبح المقترب يهز ذيله مرحبا ، شليب خيل له أنه يعرف القادم من مشيته وهيئته الخارجية ، مثلما عرفه كلبه من رائحته ، لكن الآتي به أمر غريب ... وقف شليب يستقبله الذي اقترب لم يلق السلام وقبل أن يستوعب شليب ما يحدث كانت طعنة الخنجر قد اخترقت صدره الكلب يلتف حولهما ويزوم غير مصدق نظر شليب الوجه قاتله الذي اقترب من وجهه تبينه ....

- لا. لا. لست أنت ، قاتلي لا يمكن أن تكون أنت، أختي . أختي دعد .

تأوه شليب وتراجع فانسل السلاح ذو الحدين من جسده ، سقطت عباءته أرضا رغم ألمه بكي مما وقع بكي لأنه ميت ، وبكي لأن من قتله ظالما هي أخته ، شليب من حدة ألمه ظهره انحنى كالأحدب ، وكفاه يضغطان على جرح الطعنة الدامي ، وكأن كفية سيتمكنان من وقف النزيف ، وربما ينقذان تسرب حياته التي تتسرب سريعا رفع رأسه واعتدل بصعوبة نظر إلى أخته دعد في عتاب ، قال بصوت مندهش متألم ضعيف ...

- لم أقتله . أقسم بالله لم أقتله .

- بل أنت قاتله ، فأنت أكثر من يكرهه ويحقد عليه ألم تقسم لي وأنت تلوي شعري وتلقيني أرضا ألم تقسم أنك قاتله ؟

مال شليب للأمام مرى أخرى ، تماسك ليعتدل فمال جانبا سقط على جانبه الأيمن محني الجذع والرأس ضاما ساقيه لهما فكاد يشكل دائرة بؤس الرمال تحت صدره في الظلام لا يبين أنها تأخذ اللون الأحمر لون دماء شليب جلست دعد بجوار رأسه المنحني على رأسه ...

- حقدت على زوجي حقا مسموما ، قتلته يا شليب غدا رفع رأسه لكسر تشكيل الدائرة اقتربت برأسها منه ، تنظر إليه وهو ينظر إليها في هذا الظلام .

- أختي دعد ابنة بطن أمي وقذفة ظهر أبي دعد ، صدقيني. لم أقتله. أنت قتلتني أنا أودع الدنيا لعنتك كثيرا وضربتك وكسرت لك سنا من أسنانك ، كرهت وعد بن المواعد وسأموت وأنا أكرهه ، أقسمت أني قاتله لكن لم أقتل وعد بن المواعد. أنا بريء من دمه.....!

لم يعرفوا من القاتل سألوا زوجته التي صارت أرملة ، فقالت إنها نامت وزوجها شليب نائم بجوارها اكتشفت جثته صباح اليوم التالي ، ولم تسمع أي صوت غريب يصدر حول خيمتها، سوى نباح الكلب الذي كان زائدا لكن لم تكن تتوقع أن زوجها قتل .

دعد قالت إنها لم تزره من يوم مقتل زوجها ، فهي في خصومة معه ومع عمها ، وأيضا هي في شهور العدة. قصاص الأثر الذي أوصاه عـبد الرحيم ، نظر في الرمال وجاء إلى عبد الرحيم لقد وجد آثار أقدام دعد من خيمتها لخيمة أخيها القتيل ، ثم العودة ، ضحك عبد الرحيم ساخرا ذهبت سلمى رغما عنها للمرة الثالثة ، وقبل أن تقوم لها دعد لتضربها قالت لها سلمى..

- قصاص الأثر .

- ما به ؟

- اكتشف كذبك وأبلغ عبد الرحيم الوسيم إن ثبتت عليك الجريمة فالحكم هو قطع رأسك.

- كـاذب وكاذبة .

- بل صادق وصادقة . عـــبد الرحيم لن يبلغ مجلس كبار القبيلة، أي أنه سوف يصمت .

- آه ، لينال ما يريده مني ؟"

- أنت تعرفينه ، عندما يصر على أمر، خاصة نكاح النساء ، يصل إليه ولو بعد حين .

- قطع الرأس أهون عندي من أن أستلقي له .

- هو يريدك في الحلال. يريدك زوجة مكرمة، فليس في ذمته سوى زوجتين.

- وأنت ؟

أنت عاهرة تحته تحت أكذوبة ملك اليمين أكذوبة قالها شيخنا المنافق بعرور. اسمعي يا امرأة .. لا . لن يمتطيني ذكر بعد مقتل حبيبي، حبيبي وزوجي شاعر القبائل وعد بن المواعد ثم إن وجدتك أمامي مرة ثالثة ، فأقسم بكل أسماء الله الحسنى أني قاتلتك ، الشتاء مايزال راسخا والليلة بردها أشد ، البدو أغلبهم مثل كل ليلة داخل الخيام ، كل في شأنه أو يلوك شأن غيره ، خارج الخيام لا أحد ، فلا أحد يخرج لهذا البرد الصحراوي إلا للاضطرار .

دعد وحدها في خيمتها ، ترفض أن تكون في خيمة عمها، كما رفضت من قبل أن تكون في خيمة أخيها ، في الظلام مستلقية على ظهرها. على جسدها عباءة صوفية لزوجها القتيل تفكر فيه ، تتذكر أشعاره في عشقها بما فيها من أشعار رعناء طائشة ، في ملمحها البادي تبتسم برهة وتبكي برهة ، جوفها الكابي حمم تبقبق من الحزن الرهيبة ، دون مقدمات دون توقعات انكب جسد إنساني عليها .

فزعت فوجدت كلها تمنع صراخها ، واليد الأخرى تبعد العباءة عن جسدها تحاول المقاومة لكن الجسد الذي يعتليها سريع قوي عنيف ، عضت يده فصفعها سريعا وقبضة اليد الأخرى ضربتها في بطنها ، فتأوهت وعضلات وجهها انكمشت على بعضها من الألم رفع ذيل ثيابها فتعرى أخطر وأهم ما فيها من أنوثة، والمهاجم نصفه السفلي عار، ذكر وعلامة ذكورته في كامل انتصابها ، تحاول الاستدارة على جانبها لتبعد موضعها عن الإيلاج الوشيك. فشلت ونجح العضو في غزوهما ، تريد الاستغاثة وطلب النجدة ، الكف على فمها يكاد يمنعها من التنفس ، صرخات الاستغاثة تذوب ، أسترخت ، الكف الضاغطة على الفم ، فتناثرت همهمات ووحوحات اللذة .

إنتهى وانتهت .. صدرها ينهج وهي ما بين الذهول واليقين.. هل ما حدث هو مضاجعة بالفعل! وأن الفاعل هو عبد الرحيم الوسيم ، وكان هو . تركها واختفي . في الصباح جاءتها

سلمى ، وجدتها في نفس وضعتها الذي كانت فيه ، مستلقية ، فيما عدا أن عباءة زوجها القتيل عادت لتغطيها. الدموع تنهمر من عينيها ، والفزع الشديد الذي لم يخفت على ملامح وجهها لم تنظر إلى سلمي ، ولم تجبها وسلمى تعرض عليها كيا من الفضة . أمسكت دعد بالكيس وألقت به في وجه سلمى. قالت بصوت مبحوح مذبوح..

- لو لم أكن في حالتي هذه ، لكنت قاتلتك خلال برهة لا تزيد.

تناولت سلمى الكيس وعادت. هول عميق يغمر دعد، هول أنها قتلت أخاها البريء من دم زوجها وهول ما حدث الليلة الماضية ، عذابها لأنها تأكدت أن عبد الرحيم هو قاتل زوجها. كيف لم تفكر في نذالته وفكرت في نذالة أخيها فقط.. عذابها العنيف ليس لأن عـبد الرحيم اغتصبها فقط عذابها لأنها من بعد مقاومة شرسة ، صار جسدها يتجاوب مع جسد عـبد الرحيم ، واستمتعت معه كما كانت تستمتع مع زوجها القتيل ؟

إنها خيانة منها لزوجها القتيل وعد بن المواعد . إنها الخيانة بعينها . خيانة لحكاية الحب الطويلة الجميلة التي جمعتهما وربطتهما، رغم عراقيل أخوها القتيل وعمها السئيل. اغتصابها من قبل الحقير عبد الرحيم نكبة وتجاوب جسدها مع جسده نكبات. شهوتها التي ضربتها وانفجرت رغم أنفها ورغم رفض قلبها، صدمات ونكبات وبلاءات وخيانات ، ضعف جسدها المخزي ، يخجلها ويشينها ويدينها . تقرص في فخذيها. تضرب في بطنها وصدرها وترفع رأسها لأعلى ثم تعيده ضاربه به الأرض تحتها ، لا تحس بألم الألم هو ما يخذيها داخلها لا ما تفعله خارجها ، تلوم جسدها... يا لك من حقير لم تراع غيبة الزوج الشاعر وعد بن المواعد !

يا لخسة البدن الذي لم يفرق بين ذكر هو زوج شرعي ومحب حقيقي ، وبين ذكر غاصب دنيء حقير نجس ضاع النهار وأقبل الليل غاشيا ودعد مغشيا عليها .

وفي قلب الليل ولا قمر والظلام تر، تفيق دعد من غشيانها تقوم في إعياء جسدي ونفسى

تسير في المساحة الرملية حول خيمتها التي لا تحوي أحدا سوى الذكريات.. تخاطب نفسها وحبيبها واعد..

- كان من المفترض بمجرد أن ركبني الزنيم عـبد الرحيم ، كان من المفروض أن أموت تؤا يدخل إيره داخلي ، فورا تهرب نفسي من جسدي فورا تنسل روحي من جسمي ، فيبقى رمسا ليس فيه مني شيء ، ونترك اللئيم يفعل في لا شيء ، أصير رملا باردا في شكل جثمان أصير جثة ليس لها أي صلة بدعد التي أحبت وعد وعشقت بن المواعد ، هكذا كان المفترض هكذا كان المفترض أن يصير جسدي الحي ميتا ، وليس له أية صلة بنفسي ، نفسي التي توأمت نفس وعد والتصقت التصاقا بجسد بن المواعد ، انطلق صراخها يمزق أعماق الليل البهيم تصرخ في فزع من فعلتها فيهرع الناس إليها ، تحسو الرمال على نفسها وهي تصرخ منادية الراحل وعد الحبيب ، وعد الزوج والصديق القريب ، تشد في شعرها حتى تمزق خصلات منه . تمزق ملابسها.

لم تتركها القبيلة وحدها ، وضعوها في خيمة عمها رغما عنها ، صارت في عرفهم امرأة مكلومة مصدومة قاربت الجنون ، إن لم تكن قد جنت بالفعل ، لم يتمكن عمها ولا عائلة عمها من التحكم في دعد ، لا تأكل ، تشرب القليل من الماء وجرعتين من اللبن ساهمة مهوشة الشـعر ذائغة العينين ، في الليل تصر على البقاء خـارج الخيمة ، البرد ، لا يعنيها يضعون عليها شالا من الصوف ويتركونها ، الليل ، صاحية والنهار مستلقية تنظر للاشيء عـــبد الرحيم لم يعد يعبأ بحال دعد ، إن أتته لتكون زوجة سيرفضها.

فدعد جنت أو في طريقها للجنون ، لا يهمه أمرها ، يعمل على إعداد ابنه عبد الجبار لـيوم قريبا ، سوف يتركه يدير القبائل حتى يعود هو من رحلته إلى مملكة الأنهار الجارية بدأت تأتيه أخبار عن شذوذ ابنه عبد السميع هذا أمر مقلق لعبد الرحيم ولسمعة عـبد الرحيم سعيد بأن ابنه عبد الجبار رغم صغر سنه ، له مغامرات نسائية وله قصة حـب مع شابة

صغيرة يقال إنها جميلة عبد الجبار يستغل أنه ابن الزعيم عـبد الرحيم الوسيم أحسن استغلال ، ثم مطلقته الزرقاء ، تترك أبنتهما النبيلة الثانية تذهب كثيرا لواحة النخيل ، تتعلم من الحكيم عبد الحكيم وتختلط بالبنات والأولاد هناك ! مهما أرسل إليها أن تمنع الفتاة ، الزرقاء ترفض ، حجتها أن الفتاة تريد المعرفة ومن حقها ، ثم إن أحد رجال عائلة الزرقاء يرافقها ، وأحيانا يكون معها أخوها الأصغر عبد الودود أما شاكا .. فقد قرر عبد الرحيم أن يستغل تكرار زيارة شاكا للواحة ، فيجعله عينا له هناك ، فينقل له كل ما يحدث في الواحة رفض شاكا ولما هدده عبد الرحيم أبلغ الحكيم عـبد الحكيم وفودة بما يطلبه الزعيم عـبد الرحيم ، وأقر بأنه يخشى عبد الرحيم يخشى أن يؤذي زوجته خضراء الفارسية وزوجته الآن حامل في ابنهما أو ابنتهما حـسبما يشـاء الله يخشي أيضا أن يثور عليه عـبد الرحيم و هو المستبد الباطش ، فيطرده من القبيلة ، وشاكا غير مستعد الآن للضياع ، لكنه مستعد لترك القبيلة بعدما تضع زوجته حملها. الحكيم عبد الحكيم وفودة ، طمأناه ، سوف يعطونه أسرارا لا تهم، ليبلغها لعبد الرحيم الوسيم. ودون أن يطلب منه أحد من الواحة، عرض شاكا أن يعلم أبناء الواحة كيفية صناعة الأقواس والسهام ، وهي صناعة يعرف دقائقها تماما ، فقبلوا شاكرين .

القمر تعدى كونه هلالا نحيلا سقيما امتلأ قليلا. شبح يهرول ناحية خيام عـبد الرحيم الوسيم دخل أول خيمة صادفته .

صراخ امرأة ، ثم خروج الشبح للخيمة الثانية ، وقبل أن يدخل الخيمة الثالثة ، وكانت هي المقصودة ، الخيمة التي يبات فيها عـبد الرحيم ، كان صفوان وأثنان معه يمسكون بالشبح ويلقون به على الرمال ينتزعون الخنجر من يمينه الشبح يصرخ صـرخات مفزعة ويلعن عـبد الرحيم ويتهمه باتهامات غير مفهومة ، أوقفوها وصفوان يمسك بيديها خلف ظهرها شعرها مهوش وفمها ينزف من ضرب الحراس ، تلعن بكلمات سريعة لا يفهم منها

غير اسم عـبد الرحيم ، عـبد الرحيم أتى ونظر لها وبينه وبينها عدد من أتباعه الذين حضروا سريعا .

أعادوا دعد لعمها وحذروه إن كررت فعلتها سوف يعاقبونه هو قبل أن يعاقبوها هي النبيلة المسمومة في رعبا ، تحمد الله أنها نصحت عبد الرحيم بأهمية تواجد حرس له حرس حوله ليلا ونهارا سعيدة بصفوان ونسيت أنها لعنت أمه بكلمة عاهرة إن صفوان مخلص منتبه لعبد الرحيم ، فعبد الرحيم أبوه الحقيقي ، وينتظر صفوان المكافآت من أبيه قررت أن تدفع ابنها عـبد الرحيم ليكافئ صفوان بمكافات مجزية ، وستكافئ هي أيضا صفوان ، وتوصية بأن يستمر في حماية ابنها الوحيد بكل انتباه وإخلاص .

دعد لا يمكن السيطرة عليها وإجبارها على البقاء ليلا داخل خيمة عمها يتركونها خارج الخيمة ، لكن مقيدة اليدين والقدمين ، وفي الليل قيد من وسطها بجمل يربض أرضا خارج خيمة صاحبه، عمها الذي صار كارها لدعد يتمنى موتها .

جلست دعد بجوار الجمل مالت عليه بجنبها وارتكنت على جرمه الكبير وبطنه اللينة رفعت رأسها عاليا... القمر رائع سطح القمر وكأنه وجه إنساني ، نعم ، إنه وجه حبيبها وعد بن المواعد!

ابتسمت له ثم تحول وجهها لحزن عميق خاطبت ، وجه القمر، وجه حبيبها ابن المواعد..

- يا وعد.. هل عرفت ما جرى لحبيبتك دعد ؟

يا وعد.. وربما رأيت بنفسك زوجتك وعد رأيت حبيبتك وهي تتأوة تحت الحقير عـــبد الرحيم الوسيم ؟

ترى ... ماذا جرى لك وأنت تراني في خزيي ؟

هل فجعت ؟

هل ميت ميتة إضافية؟ توقف قلبك وتهتك كبدك ؟

هل صرخت ولعنتني ؟

هل بكيت وتبرأت مي ؟

هل انخرست من الذهول وصمتا بالإشارة طلقتني ؟

حبيبي وقرة عيني ، أقسم بالله أني مظلومة. مظلومة أنا يا حبيب الروح أقسم بالإله العادل ، ببارئنا من يرى ويسمع ، وهو المضطلع على كل شاردة وواردة، أنا لا أحب سواك ولا أرغب في غير حضنك ولا أتحرق سوى للمسك ، يا حبيبي ويا عشقي وولهي ، أنت مالكي ليوم موتي ولحظة نزولي في حيز رمسك ، يا وعد وأنت المني والمطلب ، يا حبيبي وأنت الوحيد من أرغب .

ليلتان ليس أكثر ، في الصباح وجدوا دعد بنت سعد قد ارتاحت من عذابها ماتت مـــولاي أعتذر عن إنهائي حكي هذه الليلة بمأساة امرأة عاشقة ترملت ظلما واغتصبت رغم أنفها هي دعد بنت سعد ، كان الله في عونها ، وغدا نستكمل ملحمة هذا القاسي الشنيع المريع الوغد الزنيم عـــبد الرحيم الوسيم .

الإسكندرية مساء 9/1/2013

المحتويات

هداء 5

الليلة السابعة 7

الليلة الثامنة 43

الليلة التاسعة 49

الليلة العاشرة 65

الليلة الحادية عشر 115

جميع الحقوق محفوظة لشركة مركز إنسان للدراسات والاستشارات والتدريب والطباعة والنشر.